



شرح كتاب الشهاب

في الحكم والمواعظ والآداب

للإمام القضاعي

يتضمن شرح قرابة ألف حديث نبوي مع تخريجها وبيان الحكم عليها

تأليف

العلامة عبد القادر بن بدران الدومي الحنبلي

(١٢٦٥ - ١٣٤٦هـ)

رحمه الله تعالى

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب


بسم الله الرحمن الرحيم


شرح
كتاب الشهاب

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بمكتب الشؤون الفنية
٢٤ / ٢٠٠٧م

قطاع المساجد - مكتب الشؤون الفنية
الكويت - الرقعي - شارع محمد بن القاسم
بدالة: ٤٨٩٢٧٨٥ - داخلي: (٤٠٤)
فاكس: ٥٣٧٨٤٤٧
موقعنا على الإنترنت
WWW.ISLAM.GOV.KW



مكتب الشؤون الفنية

قامت بعمليات التنضيد الضوئي والتصحيح العلمي والإخراج الفني والطباعة

دار النوادر
لصاحبها ومديرها العام
نور الدين طالب

سوريا - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠

هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ (٠٠٩٦٣١١) فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

www.daralnawader.com

تصدير

الحمد لله الذي أحيا قلوب المؤمنين بتبصرته، وزجر الغافلين عن تذكرته بزواجر موعظته، والصلاة والسلام على البشير النذير، والنبي الساطع هداه كالصبح المستنير، وآله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

فيسرّ مكتب الشّؤون الفنّيّة بقطاع المساجد بوزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية بدولة الكويت أن يقدّم هذا الكتاب، والذي هو بعنوان: «شرح كتاب الشِّهاب في الحِكم والمواعظ والآداب» للإمام عبد القادر بن بدران الدومي الحنبلي ـ رحمه الله ـ، وهو كتابٌ يعالج مسائل الأخلاق والآداب، ويشرح كثيراً من الحِكَم والمأثورات المفيدة، وهو مِن أنفع الكتبِ وأعظمها فائدةً، لا يستغني عنه طلاّب العلم، وكذلك عموم الدّعاة والقائمين على وعْظ الناس وتذكيرهم وإرشادهم، وأوْسعُ الشّرائح انتفاعاً به الأئمة والخطباء.

إنّ مكتب الشّؤون الفنّيّة يهدف من وراء هذا الإصدار إلى الأهداف التّالية:

١ـ التّركيز على مدى عناية الوزارة بالوعظ والإرشاد؛ إذ هو بوّابة نجاح الإمام والخطيب في تعامله مع الناس؛ فأكثر عمل الإمام والخطيب إنما هو وعظ الناس وإرشادهم ومحاولة هدايتهم، فإذا لم يكن مستعدّاً لذلك، لم يحالفه التوفيق في دعوته، وإذا استعدّ بقراءة أمثال هذه الكتب النافعة، كُتب له ـ بإذن الله تعالى ـ التوفيق وتمام النجاح.

٢ـ حثّ الأئمة والخطباء على مزيدِ العناية بقراءةِ الكتبِ النّافعة، ودوامِ مطالعتِها، ليَتسنّى لهم تكوين مَلَكَة وعظيّة وإرشادّية شرعيّةٍ تُمكّنهم من سلامة التّعامل مع النّاس، على اختلاف شرائحهم وأنواعهم، الملتزمِ منهم والمقصِّرِ على السّواء.

* **إنّ مكتب الشّؤون الفنّية** يحرص دائماً على اقتناء كلّ مفيدٍ وجديدٍ من الكتب الشّرعيّة النّافعة، وتوزيعها على الدّعاة وطلبة العلم، وعلى الأئمّة والخطباء؛ تواصلاً معهم، وإثراءً لمعلوماتهم، وإعانةً لهم على ما تحمّلوا من أمانة الكلمة وإبلاغ الرّسالة، وزاداً علميّاً لهم؛ لِما اشتملتْ عليه هذه المصنّفات من الفوائد العلميّة والآداب المرعيّة.

* **ومكتب الشّؤون الفنّية** بقطاع المساجد بوزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة ـ بإسهامه بهذا الكتاب ـ يبقى متحفّزاً لنشْر غيره مِن الكتُب النافعة المختارة مِن جميع الفنون، حرصاً على نشْر العلم، وبثّ الخير وإصلاح النّاس.

* **والمكتب** ـ إذ يهدي إصداره هذا إلى عموم القرّاء ـ يرجو الله تعالى أن يجمع الأمّة على الخير والطّاعة، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

نسأل الله تعالى التّوفيق والسّداد، والهداية والرَّشاد، هو حسبُنا ونعم الوكيل.

والله الهادي إلى سواء السّبيل

مَكتَبُ ٱلشُّؤُونِ الفَنِيَّة
الكويت
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيق

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أَن لَا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

أَمَّا بَعْدُ:

فلما كانَ خيرُ الكلامِ كلامَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيَ محمدٍ ﷺ، فقد قيَّضَ اللهُ لخدمتِهما من هذه الأمة المسلمةِ علماءَ رَبَّانِيِّين، وأئمةً مُخلِصين، نافحوا عنهما مَنِ اعتدَى عليهما، وذَبُّوا عنهما انْتِحالَ المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين، وإفسادَ الزائفين، وتحريفَ الغالِين.

وكان من هؤلاءِ النُّجباءِ، جهابذةٌ نُقَّادٌ، وحُفَّاظٌ أوتادٌ، دَوَّنوا حديثَ رسول الله ﷺ، وحَرَّروه، وبَيَّنوا صحيحَه من سقيمه، وأثبتوا كلَّ حرفٍ صدرَ منه بإسنادِه؛ كي يُعرفَ حالُ رُواته؛ من ضبطٍ وعدالةٍ

وغيرِهما، كلُّ ذلك صيانةً للجنابِ النبويِّ، أَنْ يُنْسَبَ إليه كذبٌ، أو يُحَدَّثَ عنه ما هو منه بَراءٌ.

ولما كـانَ كـلامُ رسـولِ الله ﷺ مشتمِـلاً علـى أنـواعِ المعـارفِ والعُلومِ، جامعاً مِن الأحكامِ مَا دقَّ منها وجَلَّ، كان لأولئك الأئمةِ الأثباتِ مشاربُ شَتَّى في مُصَنَّفاتهم الحديثيةِ؛ فمنهم من أفردَ حديثَ رسولِ الله ﷺ مقتصِراً على الأحكامِ الفقهيَّةِ، ومنهم من قَصَرها على سيرته، ومنهم من خَصَّ الرقائقَ والمواعظَ بالتأليف والجمع، وغير ذلك.

وكان من أبرزِ تلكَ الكتبِ التي عُنيتْ عنايةً خاصةً بجمعِ جوامعِ الكَلِمِ من حديث المصطفى ﷺ كتابُ «الشهاب» للحافظ أبي عبد الله محمدِ بنِ سلامَةَ القُضاعيِّ، المتوفَّى سنةَ (٤٥٤هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ، فقد انتخبَ جُملةً وافرةً من أَحاديثِهِ ﷺ ذاتِ الكلماتِ القليلةِ والمعاني الكثيرةِ، حتى جاءَ كتاباً جامعاً لأصنافٍ من العلومِ والمعارفِ والآدابِ.

وقد ألفَ كتابَهُ هذا أولاً بالأسانيدِ منهُ إلى رسولِ الله ﷺ، ونَوَّعَ فيها وتفنَّنَ، وذكَرَ الطُّرقَ المتنوعةَ للحديثِ الواحدِ، لكنْ لَمَّا رأى ذلكَ يطولُ على عامَّةِ المسلمينَ، قامَ بتجريدِهِ من الأسانيدِ، وسَرَدَ أحاديثَهُ.

وقد تَصَدَّى لشرحِ هذا الكتابِ القيِّمِ جملةٌ من العلماءِ والأئمةِ

الأعلام، منذُ اشتهارِه بين الناس، وحتىٰ عصرِنا الحاضرِ.

وكـان مـن هـؤلاء: العـلامـةُ الفقيـهُ المحـدِّثُ المتفنِّـنُ الشيـخُ عبدُ القادرِ بنُ بدرانَ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ، حيثُ عَمَدَ إلى شرحِهِ شرحاً متوسِّطاً، يفكُّ عباراتِ الحديثِ النبويِّ ومفرداتِهِ، ويبين مُخْرِجَه ورواتَهُ، مع ذكرِ صحتِهِ من ضعفهِ، مازجاً ذلكَ كلَّه بما يتعلَّق بعلومِ العصرِ ومعارفِهِ؛ من طبٍّ وفلكٍ ونحوِهما، منبِّهاً على البِدَعِ والخرافات، والتقاليدِ السيئةِ التي شاعت بينَ المسلمين، وكان من أسباب شيوعِها اعتمادُ عامَّةِ الناسِ على أحاديثَ ضعيفةٍ أو موضوعةٍ، فجاء كتابُهُ هذا حافِلاً بالدُّررَ، آخِذاً بزمامِ علمِ الأَثَرِ، مفيداً ومُنْقِذاً للعامَّةِ، من كل بَلِيَّةٍ أو طامَّة، ومُوَجِّهاً ومنبِّهاً للخاصَّة، في شؤونِهم العامَّةِ والخاصَّةِ.

وقد وَفَّقَ الله تُعالىٰ ـ وله الحمدُ والمِنَّةُ ـ للحصولِ على نسختِهِ الخَطِّية، بخط مؤلِّفِهِ العلامةِ ابنِ بدران، ومن حينها بدأ العملُ به: بنسخِهِ، وضبطِهِ، وترقيمِهِ، وعَزْوِ آياته، وتخريجِ أحاديثه، وإِعدادِ فهارسِهِ، بفضل الله تعالىٰ وتوفيقه.

وقد قسمت العمل في الكتاب إلى قسمين:

* **القسم الأول:** قسم الدراسة، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في التعريف بكتاب الشهاب للإمام القضاعي وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بكتاب الشهاب.

المبحث الثاني: مكانة الشهاب وأهميته عند أهل العلم.

المبحث الثالث: خدمة كتاب الشهاب.

المبحث الرابع: في عدد أحاديث الشهاب.

الفصل الثاني: في التعريف بكتاب «شرح الشهاب» للإمام ابن بدران، وفيه مباحث:

المبحث الأول: في بيان خطة الشارح وطريقته فيه.

المبحث الثاني: المآخذ على الشرح.

المبحث الثالث: في إثبات صحة نسبة الكتاب.

الفصل الثالث: ترجمة العلامة عبد القادر بن بدران الدومي الحنبلي رحمه الله تعالى، وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه، وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: وظائفه وأعماله ورحلاته وصلاته.

المبحث الثالث: إجازاته.

المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه واختياراته الفقهية.

المبحث الخامس: شعره.

المبحث السادس: مكتبته.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الثامن: ثناء العلماء عليه.

المبحث التاسع: وفاته.

الفصل الرابع: في وصف النسخة الخطية، وبيان منهج التحقيق، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في وصف النسخة الخطية.

المبحث الثاني: في بيان منهج التحقيق.

* القسم الثاني: النص المحقق.

وأخيراً: الفهارس العامة للكتاب، وتحتوي على:

١ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية (أحاديث المتن).

٣ـ فهرس الأحاديث النبوية (أحاديث الشرح).

٤ـ فهرس الآثار.

٥ـ فهرس الموضوعات.

* ولابدَّ لي في الختام من أن أتوجه بالشكر الكاملِ، للأخ الفاضل، والشيخ العالم العامل، عينِ عيونِ أعيانِ الكويت، مَنْ سار ذكرُه في كلِّ زاويةٍ وبيت، أخينا ومحبِّنا في الله الشيخِ محمدِ بنِ ناصرٍ العَجَمي، لا زالتْ فوائدُه العلميةُ على إخوانه تَهْمي، فهو المتفضلُ بتقديم نسخته الخطية، والمؤثر لي على تحقيق هذا الكتاب، مع ما عُرف عنه من محبةٍ لنشر آثار ابن بدران العلمية، وقد قلتُ فيه شعراً مطرِّزاً شطر البيت باسمه المنظوم:

«محمدٌ ناصرُ العَجْمِيُّ» مَوْقِعُهُ　　في القَلْبِ كالرُّوحِ أغلىٰ ما تملَّكَهُ

فَهْوَ الَّذِي يُحْزِنُ الأبْصَارَ مَغْرِبُهُ　　فالعَيْنُ ترقُبُ نحوَ الشرقِ مَطْلَعَهُ

وإني هنا بكلماتي هذه لا أُوَفِّيه حَقَّه، فاللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ المسؤولُ أن يُعطيَهُ مستحقَّه.

هذا، وأسأل إخواني دعوةً صالحةً لي بظهر الغيب، وأن يستروا ما يرونه في هذا العمل من خَلَلٍ أو عَيْب.

وصلّى الله على نبينا محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسَلَّم.

وكتبه

نور الدين طالب

في الغلاف الجوي على متنِ الطائرةِ العائدِةِ بنا من إستنبول إلى دمشقَ
حامِداً ومصلياً ومُسَلِّماً
صباح الجمعة
الأول من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٨هـ

* * *

القسم الأول

قسم الدراسة



الفصل الأول

في

التعريف بكتاب الشهاب للإمام القضاعي



المبحث الأول

التعريف بكتاب «الشهاب»

قام الإمامُ القضاعيُّ بإفراد حديثِ رسولِ الله ﷺ بالجَمْع، مقتصراً على الحِكَمِ والوصايا والآدابِ والمواعظِ والأمثالِ: في كتاب سماه: «مُسْنَد الشهاب».

وهو كتابٌ لطيفٌ، جامعٌ لأحاديثَ قصيرةٍ، حاويةٍ لجوامِعِ كَلِمِ المصطفى ﷺ.

وقد ساق أحاديثَه كلَّها بالأسانيد المُتَّصلة إلى النبيِّ ﷺ؛ ليُرجَعَ في معرفة صحيحها من ضعيفها إليه.

ثم جرَّد كتابَه هذا من الأسانيد، فسردَ أحاديثَه، مُبَوَّبَةً على الأبواب، مرتبةً على الكلمات، من غيرِ تقييدٍ بحرف؛ تسهيلاً لحفظِها وتناوُلها، وهو الذي اشتُهر فيما بعد باسم: «كتاب الشهاب».

* * *

المبحث الثاني
مكانة «الشهاب» وأهميته عند أهل العلم

حَظِيَ كتابُ «الشهاب» بمكانةٍ عاليةٍ لدى أهلِ العلم عامة، وأهلِ الحديثِ خاصَّة، ويدل على ذلك ما جاء في كلامِ جماعةٍ من الأئمةِ في مدحِه والثناءِ عليه:

* **فقد قال الإمامُ الذهبيُّ** في ترجمةِ الإمامِ القدوةِ الحافظِ أبي عبدِ الله محمدِ بنِ أبي نصرٍ الحميديِّ صاحبِ «الجمع بين الصحيحين»: كان الحميديُّ يقصِدُ كثيراً في رواية كتاب «الشهاب» عن مؤلفه، فقال الحميدي ـ: صَيَّرَني الشهابُ شِهاباً[1].

* **وقال الإمامُ ابنُ الأثير الجَزَرِيُّ في كتابه «المَثَل السائِر»**[2]: «إنك أولَ ما تحفظُ من الأخبار هو كتابُ «الشهاب»، فإنه كتابٌ مختصَرٌ، وجميعُ ما فيه يُستعمل؛ لأنه يتضمَّنُ حِكَماً وآداباً، فإذا حفظتَه، وتدربتَ باستعماله، حصلَ عندَك قوةٌ على التصرُّفِ والمعرفةِ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ١٢٣ـ١٢٤).

(٢) (١/ ١٣٨).

بما يدخُل في الاستعمالِ وما لا يدخُلُه، وعند ذلك تتصفُّحُ كتابَ «صحيح البخاري»، و«مسلم»، و«الموطأ»، و«الترمذي»، و«سنن أبي داود»، و«سنن النسائي»، وغيرها من كتب الحديث. . . . ».

* * *

المبحث الثالث

خدمة كتاب: «الشهاب»

سَمَتْ هِمَّةُ المتقدمينَ من العلماء إلى خدمة هذا الكتاب في أسفارٍ جليلةٍ، فكتبوا عليه تعاليقَ، وشروحاً، واختصاراتٍ عديدة، منها:

أولاً: التخريجات والتعاليق على كتاب «الشهاب»:

١ـ «الكشف عن أحاديث الشهاب ومعرفة الخطأ فيها والصواب» لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المتوفَّى سنة (٥٠٧هـ)[١].

٢ـ «بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب» في ستة عشر جزءاً، لأبي الفرج بن الجوزي المتوفَّى سنة (٥٩٩هـ)[٢].

٣ـ «الدُّرُّ الملتقَط في تبيين الغَلَط» لأبي الفضائل الحسينِ بنِ محمدٍ الصغّانيِّ المتوفَّى سنة (٦٥٠هـ)، وقد بيّن فيه الموضوعاتِ التي وقعتْ

---

(١) انظر: «هدية العارفين» (١/ ٤٨٩).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٣٧٤)، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٤٩٥).

في كتاب «الشهاب»، فبلغت (٥٦) حديثاً[١] .

٤ـ وله أيضاً: «**كَشْف الحجاب عن أحاديث الشهاب**» أصلحَ فيه الأحاديثَ التي وقع فيها الخطأ، ووضعَ علامةً للصحيحِ والضعيفِ والمرسَل، ورتَّبه على الأبواب[٢] .

٥ـ وقد ردّ عليه الحافظُ العراقيُّ فيما زعم أنه موضوعٌ في كتاب «الشهاب»، وغلّطه في ذلك[٣] .

٦ـ «**إسعافُ الطلاب بترتيب الشهاب**» في مجلد، للشيخ عبدِ الرؤوفِ المناويِّ الشافعيِّ، رتَّب فيه أحاديثَ «الشهاب»، وأضافَ إليه بيانَ المخرجين[٤] .

٧ـ «**تخريج أحاديث الشهاب**» للشيخ أحمد بنِ الصدِّيقِ الغماريِّ، في أربع مجلدات، اشتمل على فوائدَ حديثيةٍ مهمَّة، كما أسندَ فيه أحاديثَ الشهاب بأسانيده الخاصَّةِ إلى النبيِّ ﷺ[٥] .

---

(١) وقد طبع في دار الكتب العلمية.

(٢) انظر: «هدية العارفين» (١/ ١٤٩)، وله عدة نسخ خطية، أهمها: ١ـ نسخة شهيد علي باشا (٣٩) [٤٨٢] (١مج). ٢ـ نسخة شهيد علي باشا (٣٩) [٤٨٣] (مج). انظر: «الفهرس الشامل».

(٣) انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (٧/ ١٦٤)، وقد أُلحق ردُّ العراقي في آخر المطبوع من «مسند الشهاب»، بتحقيق الشيخ حمدي عبد المجيد.

(٤) انظر: «الرسالة المستطرفة» للكتاني (ص: ٧٦).

(٥) كما ذكر أطرافاً من تخريجه هذا في كتابه «المداوي في علل الجامع الصغير وشرحي المناوي».

ثانياً: ترتيب أحاديثه:

١ـ «**ترتيب الشهاب**» للحافظ السيوطي، رتبه كترتيب «الجامع الصغير» له[1].

٢ـ «**قبس الأنوار وتذليل الصعاب في ترتيب أحاديث الشهاب**» للشيخ محمد العربي العزوزي. (مطبوع).

ثالثاً: ذيوله:

١ـ «**النُّجَم من كلام سيد العرب والعَجَم**» للعلامة أحمدَ بنِ معدانَ بنِ عيسى بنِ وكيلٍ التُّجيبِيِّ المالكيِّ أبي العباسِ الأُقليشيِّ المتوفَّى سنة (٥٥٠هـ)[2].

رابعاً: شروحه:

١ـ «**شرح الشهاب**» للعلامة عبدِ الله بنِ يحيى أبي محمدٍ التُّجيبيِّ المعروفِ بابن الوحشي، المتوفَّى سنة (٥٠٢هـ)[3].

٢ـ «**مختصر شرح الشهاب**» للإمام إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ

---

(١) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٠٦٧).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: «هدية العارفين» (١/ ٢٣٦)، وله عدة نسخ خطية، أهمها:
١ـ نسخة الإسكوريال برقم [٣/ ١٣٨٦] (و٤٢أ ٧٥أ) ضمن مجموع، منسوخ سنة: ٨٨٩هـ. ٢ـ نسخة خزانة تطوان برقم [٣٦٤/ ٨٧٦م] (ص: ٤٢ ٥١٩) ضمن مجموع، منسوخ سنة: ١٠٩٩هـ. ٣ـ نسخة الإسكوريال برقم [٤/ ١٣٨٦] (و٥٧أ ١٦١) ضمن مجموع. انظر: «الفهرس الشامل».

خَلَفٍ الوادي آشِيِّ، المتوفَّى سنة (٧٥٠هـ)، اختصر فيه شرحَ ابن وحشي المتقدم[١].

٣ـ **«شرح الشهاب»** للعلامةِ عبدِ العزيزِ بنِ محمدِ بنِ سعيدٍ أبي الإصبعِ الأُطروشِيِّ الدَّوْرَقِيِّ، المتوفَّى سنة (٥٢٤هـ)[٢].

٤ـ **«شرح الشهاب»** للعلامةِ محمدِ بنِ عليٍّ العراقيِّ أَبي المظفَّرِ الحلبيِّ، المعروفِ بابنِ الحكيمِ الواعظِ الحنفيِّ، المتوفَّى سنة (٥٦٧هـ)[٣].

٥ـ **«رفع النقاب عن كتاب الشهاب»** للشيخ عبدِ الرؤوف المناويِّ[٤].

٦ـ **«شرح الشهاب»** للشيخ أبي مَدْيَنَ الفارسيِّ[٥].

٧ـ **«شرح الشهاب»** للشيخ أبي القاسمِ بنِ إبراهيمَ الوَرَّاقِ البابيِّ[٦].

---

(١) انظر: «هدية العارفين» (١/ ٨).

(٢) انظر: «هدية العارفين» (١/ ٣٠٧).

(٣) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٠٦٧)، و«هدية العارفين» (١/ ٤٩٧).

(٤) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٠٦٧).

(٥) انظر: «نظم المتناثر» للكتاني (ص: ١٤٦)

(٦) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٠٦٧)، وله عدة نسخ خطية، أهمها:

١ـ نسخة متحف طوبقبوسراي (٢/ ١٣٨) (١٦٦ورقة)، منسوخ سنة: (٥٤٤هـ).

٢ـ نسخة العمومية في إستانبول (٤٦) [٩١١/ ٨١]، منسوخ سنة: (٦٥٥هـ).

٣ـ نسخة الفاتيكان (بور جياني) (١/ ٢٦٣) [٦/ ١٦٣] (و٥٩ب ١٢٠ب) ضمن مجموع، منسوخ سنة: (ق٨هـ).

٤ـ نسخة المكتبة الوطنية ببغداد (دار صدام سابقاً) (١٨٢) [١٣٧١٥] (٢٥٠ص)، منسوخ سنة: (٩٦١هـ). =

٨ـ«**شرح الشهاب**» للشيخ أبي بكر محمدِ بنِ موسى البابيِّ[(١)] .

خامساً: ملخصاته :

١ـ**تلخيص كتاب «الشهاب»** للشيخ نجم الدين الغيطيِّ محمدِ بنِ أحمدَ الإِسكندريِّ، المتوفَّى سنة (٩٨٤هـ)[(٢)] .

= ٥ـ نسخة المكتبة الوطنية في تونس (المجاميع) (١/ ٢٢) [٨٩/ مجموع (و٢٩ب ٤٨أ)، منسوخ سنة: (٩٧٤هـ).

٦ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (دار صدام سابقاً) (١٨٢) [٩٩٤٦] (٢٩٢ص)، منسوخ سنة: (ق١٢هـ).

٧ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (دار صدام سابقاً) (١٨٣) [٢٦٥٨] (١٩٢ص)، منسوخ سنة: (ق١٢هـ).

٨ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (دار صدام سابقاً) (١٨٣) [٢٨٧١١] (٢٤٤ص)، منسوخ سنة: (ق١٢هـ) ناقصة الآخر.

٩ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (دار صدام سابقاً) (١٨٣) [١٠٣٦١] (١٦٨ص)، منسوخ سنة: (١٢٤٤هـ) ناقصة الآخر.

١٠ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (دار صدام سابقاً) (١٨٣) [٢٥٠٢١/ ٢] (١٨٦ص)، منسوخ سنة: (١٢٧٩هـ). انظر: «الفهرس الشامل».

(١) **شرح البابي (أبي بكر محمدِ بنِ موسى)** :

١ـ نسخة جاريت (يهودا) (٥٦) [٣٤٢٠ (٦١٩)] (و٣٨ب ١٥٥ب) ضمن مجموع (ق١٢هـ).

٢ـ نسخة دار الكتب في القاهرة (فؤاد) (٢/ ٨) [٢١٨٨٤ب] (١٣٥٩هـ).

(٢) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ٧٦٠١).

* **وانظر: «الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط» (٢/ ٩٩٣ـ ٩٩٤ علوم الحديث)، و(٢/ ١٢٩٠ علوم الحديث)**

* وهناك شروح أخرى مذكورة في «هدية العارفين» للبغدادي انظرها بأرقام (١/ ٤٥)، (١/ ٣٤٦)، (١/ ٣٧٣)، (١/ ٤١٩)، (١/ ٤٩٢)، (١/ ٧٣٨)[1].

* * *

(١) ـ شروح أخرى لمجاهيل:

١ـ نسخة الدولة في برلين (٢/ ١٠٧) (ورقة اب ٢٢) ضمن مجموع (نحو ٩٠٠هـ) مع مقدمة، وترجمة بالفارسية.

٢ـ نسخة الدولة في برلين (٢/ ١٠٨) (٣٧ ورقة) (نحو ٩٠٠هـ) مع مقدمة وترجمة بالفارسية.

٣ـ نسخة داماد إبراهيم باشا (٢٧) [٣٨٢].

٤ـ نسخة طلعت في القاهرة (م.م.خ/ ٣/ ٢ (١٩٥٧م)/ ٢٣٠) [٧٨٥حديث] (٣٩٣و) (٥٧٤هـ).

٥ـ نسخة جاريت (٤٢٩) (٦٨و) (٧٠٨هـ) ناقص الصفحة الأولى.

٦ـ نسخة تشستربيتي (٥/ ١٣٨) [(٢) ٣٣ ٤٤٣] (و٣٣ ١٢٢) ضمن مجموع (٧٣٥هـ).

٧ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (١٨٤) [٥٨٤٢] (٢٤٦ص) (٧٩٩هـ).

٨ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (١٨٤) [١٤٢٢٧] (٣٣٠ص) (ق١٢هـ) ناقصة قليلاً من الأول.

٩ـ نسخة التيمورية (٢/ ٢٩٩) [٢٢٤] (ج١) (١٢٣١هـ).

١٠ـ نسخة المكتبة الوطنية في بغداد (١٨٤ ١٨٥) [٢٨٥٣٥] (٩٥ص) (١٢٣١هـ) ناقصة من الأول.

١١ـ نسخة شهيد علي باشا (٣٨) [٤٧٠].

١٢ـ نسخة المركزية في جامعة السليمانية في العراق (٢٤) [٢٦٥] (١٣٠ص) ناقصة الآخر.

المبحث الرابع
في عدد أحاديث «الشهاب»

ذكر القُضاعيُّ في مقدمة كتابه «الشهاب» أنه جمع في كتابه هذا مما سمعه من حديث رسول الله ﷺ ألفَ كلمة من الحِكَم في الوصايا والآداب والمواعظ والآداب، ثم زاد عليها مئتي كلمة، فصارت ألفَ كلمةٍ ومئتي كلمة.

وكذلك ذكر الكتاني في «الرسالة المستطرفة».

وقد بلغت أحاديثه في النسخة التي شرح عليها الشيخُ عبدُ القادر بنُ بدرانَ ـ رحمه الله ـ (٩١٥) حديثاً.

* * *

الفصل الثاني

في التعريف بكتاب «شرح الشهاب»

للإمام ابن بدران



المبحث الأول
في بيان خطة الشارح وطريقته فيه

لما كانت التخاريجُ والتعاليقُ والشروحُ السالفةُ الذكرِ على كتاب الشهاب قليلةَ التداوُل بين أيدي طلبة العلم، ولا يوجد منها شيء مطبوعٌ فيتداوله الناس، فانبرى الإمامُ البصيرُ الحاذقُ عبدُ القادرِ بنُ بدران ـ رحمه الله ـ، فشرح كتاب «الشهاب» على عُسْر في ذلك لعدم وجود نسخة ثانية عنده للمقابلة والتصحيح، ولغرابة تخريج أحاديثه، وتمييز درجة بعضها عن بعض.

إلاّ أن ذلك لم يَثْنِ عزمَه، فهو القائل في مقدمة شرحه: «فقلتُ في نفسي: إن ذلكَ لا يُعد مانعاً، ومن جَدَّ وجد، ومن رام خدمةَ الحبيب، لا يصدّه عذلُ عاذل، ولا مَلام».

وقد قام الإمامُ ابنُ بدارن ـ رحمه الله تعالى ـ، مستعيناً بالله ـ عز وجل ـ، وبما يملك من دُرْبَةٍ وفهمٍ في فنون العلم المختلفة بشرح أحاديث الكتاب، ولم يَجْنَح إلى التطويل، أو لاستقصاء الأقاويل، وكان بعيداً عن التعقيد والتكليف، فقرَّبَ معانِيَه، ولخّص مرامِيَه،

وبذلَ الجهدَ في تصحيح مبانيه، فجاء شرحاً لطيفاً في مقصدِه، وهو تذليلُه المشربَ لأهلِ العصر؛ ليمتزجَ بطبعهم، ويحلوَ لذوقهم.

*** وكانت طريقته فيه:**

١ـ البدءُ بذكر الحديث على حسب وروده عند مؤلفه، فيذكر رواية المصنف له في مسنده، مع تصحيح ألفاظه، والاختلاف فيها إن وجد.

٢ـ ذكرُ المخرِّجين الذي رَوَوْا هذا الحديث عن الصحابي نفسِه، أو عن صحابي آخرَ وافقَه في اللفظ أو المعنى الذي ساقه القضاعي، معتمداً في تخريجه هذا على أصول السنة أحياناً، وفي الغالب على تخريجات الحافظ العراقيِّ، والهيثميِّ، والسخاويِّ، والسيوطيِّ، والعجلونيِّ.

٣ـ التعقيبُ على الحديث بذكر درجته صحةً وضعفاً، مسنِداً ذلك إلى إمام من الأئمة.

٤ـ ضبطُ ما يُشْكِلُ لفظُه من مفردات الحديث.

٥ـ تفسيرُ وشرحُ غريبِ المفردات في الحديث، معتمِداً غالباً على كتاب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير.

٦ـ شرحُ الحديثِ على وجه الإجمال، دونَ تطويلٍ أو تقصير، أو تعقيدٍ، أو إخلالٍ بالمعنى، معتمِداً على جملة من شروح الحديث، منها: كتابُ «جامع العلوم والحكم» لابن رَجَبٍ الحنبليِّ، وكتابُ «فَيْض القدير» للمناوي، وغيرُها من الشروح.

٧ـ أظهرَ الشارحُ رجاحة قلمه، فلم يفتْهُ في الشرح حضُّهُ في مواطنَ كثيرةٍ على التمسك بالكتاب والسنة، وفهم مراميهما، والعمل بهما، مزيّناً شرحَه على طريقة أهل الرقائق والوعظ، منبهاً على لطائف سياق الأحاديث عند المصنف من حيث ترتيبها، مذكِّراً ما تحمله من إشارات ودقائق، مسقِطاً الأحاديثَ وما تحملُه على واقع الأمة الأليم الذي كان يعيشه، مرغِّباً في فعل الخير والتمسُّك به، مرهِّباً من الشرور والفتن وأنواع المنكرات.

وبالجملة: فهذا شرح عزيزٌ وجودُه، مفيدٌ تدريسه، جامعٌ لصنوف العلم المختلفة، فمَنْ رامَ علمَ الحديث ومصطلَحه، وعلمَ الرجال، وغريبَ الحديث، والفقه، والعقيدة، والطب، والوعظ، والدعوة، وجد طِلْبَتَه هنا، وفرحَ بمبتغاه.

* * *

المبحث الثاني
المآخذ على الشرح

١ـ قصورُ الشارح في عزوه لبعض الأحاديث، فقد يكون الحديثُ في «الصحيحين»، أو أحدِهما، فينسبه إلى «تاريخ بغداد»، أو إلى «معاجم» الطبراني، أو غيرها.

مثاله: حديث: «إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ المَجَاعَةِ»، حيث قال في تخريجه له: رواه البخاري في «التاريخ» عن عائشة، وهو في «الصحيحين»، باللفظ نفسه، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

٢ـ قلبُه لراوي الحديث، فيذكر مثلاً أن راويَ الحديث عبادةُ بنُ الصامت، والصواب أنه أبو سعيد الخدريُّ ـ رضي الله عنه ـ.

٣ـ تساهلُه في الحُكم على الأحاديث، فيذكر عن حديث أن إسنادَهُ حسن، أو نحوه، والحالُ خلافه.

٤ـ إطلاقه في تحقيق الأحاديث؛ كقوله: لم نعلم أحداً رواه من الأئمة سوى المصنف، أو: لم أجد من خَرَّجه غيرُه.

والسبب في هذا: اعتمادُ الشارح على بعض الكتب الجامعة دون

الرجوع إلى مصادرها التفصيلية؛ ككتاب «كشف الخفاء» للعجلوني، جعله الشارح مصدراً أساسياً في تخريج الأحاديث وتصحيحِها؛ مما أوقعه في الأوهام السالفة الذكر.

على أن ذلك لا يَغُضُّ من قيمة هذا الشرح؛ فمؤلفُه قد اقتحم أسوار هذا الكتاب العسرة بعلمِه الرصين، ودينِه المتين، مظهِراً دُرراً ثمينة، وكنوزاً دَفينة، مما يبهر الناظرَ فيه ـ رحم الله مؤلفه ـ.

* * *

المبحث الثالث
إثبات صحة نسبة الكتاب

١ـ كونه بخط الشيخ عبدِ القادر بن بدران ـ رحمه الله ـ؛ إذ سطَّر هذا الشرحَ بخطِّه، وهو معروفٌ مشهور لكل من اطلع على كتبه ـ رحمه الله ـ.

٢ـ ذكرُه شرحَه هذا في كتبه الأخرى، فقد قال في كتابه «مقدمة في مصطلح الحديث» (ص: ٦٩) ـ عند ذكر كتاب «الشهاب» ـ: «وقد كنتُ شرحتُ هذا الكتاب».

* * *

الفصل الثالث

ترجمة العلامة
عبد القادر ابن بدران الدومي الحنبلي
(رحمه الله تعالى)



المبحث الأول
اسمه ونسبه وولادته ونشأته (١)

*** اسمهُ ونسبُهُ:**

هو العَلاَّمَةُ الفَقيهُ الأُصوليُّ المحدِّثُ المفسِّرُ النَّحْوِيُّ المُتَفَنِّنُ عبدُ القادرِ بنُ أحمدَ بنِ مصطفى بنِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ

---

(١) مصادر الترجمة:
* «منتخبات تواريخ دمشق» لتقي الدين الحصني (٢/ ٧٦٢-٧٦٣).
* «أعلام الأدب والفن» لأدهم الجندي (١/ ٢٢٤، وما بعدها).
* «أعيان دمشق» لمحمد جميل الشطي الحنبلي (ص: ٣٤٥).
* مقدمة «منادمة الأطلال» لمحمد بهجت البيطار، (ط: المكتب الإسلامي).
* خاتمة «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» لمحمد بن سعيد الحنبلي.
* «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٤/ ٣٧).
* «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٢/ ١٨٤-١٨٥).
* «الأعلام الشرقية» لزكي مجاهد (٢/ ١٢٨-١٣٠).
* «معجم المطبوعات العربية والمعربة» لسركيس (ص: ٥٤١).
* «معالم وأعلام» لأحمد قُدامة (١/ ١٢٣).
* «معجم المؤلفين السوريين» لعبد القادر عياش (ص: ٢٥٧).
* «تاريخ دومة» لمعروف زريق (ص: ١٠٣-١٠٤).
* «شعراء من دومة» له أيضاً (ص: ٩٨، وما بعدها).

=

الرَّحيمِ بنِ بَدْرانَ، السَّعْدِيُّ، الدُّومِيُّ، ثمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الحنبليُّ، الأَثَرِيُّ السَّلَفِيُّ(١).

= * «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» لمحمد مطيع الحافظ (١/ ٣٠٠).

* «علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي» لمحمد بن ناصر العجمي.

* مواضع متفرقة من كتب المترجم؛ كـ«تهذيب تاريخ دمشق»، و «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، و«منادمة الأطلال»، و «نزهة الخاطر العاطر»، و«حاشية أخصر المختصرات»، و «تسلية اللبيب»، و «العقود الياقوتية»، وغيرها.

* مشافهات عديدة من أهل دومة تُعَدُّ تتمة لبعض المواضع الغامضة من سيرة ابن بدران.

(١) **تفصيل النسبة:**

- بدران: اسم الجد الأكبر لأسرة ابن بدران، وهو بدران السَّعْدي، حجازيٌّ من قبيلة بني سَعْدٍ، وهذه الأسرةُ أسرةٌ كبيرةٌ ممتدةٌ في دومةَ.

- **السَّعْدِيُّ**: نسبة إلى بني سعد، وهي قبيلة حجازية، ترجع أصول آل بدران إليها، كما أشار إلى ذلك في غير موضع من كتبه، من ذلك قوله في «تهذيب تاريخ دمشق» (١/ ٦) بعد ذكر نسبه: «المشهور كأسلافه بابن بدران، المنتمي أصله ونِجارهُ لبني سعد، جيران الصَّفا».

- **الدُّوميُّ**: نسبة إلى دومة، موطنِ ولادة المترجَم ونشأته، ومقرِّ إقامةِ أسرته، وهي بلدة تبعد عن دمشق ثلاثة عشر كيلاً من الجهة الشرقية الشمالية، وقد صارت الآن مدينة ممتدة، وهي مركز الغوطة - حرسها الله وسائر بلاد المسلمين -.

وينتسب أهل دومة إلى المذهب الحنبلي منذ أكثر من خمسة قرون، وقد خرج منها جماعة من أعلام الحنابلة، منهم: الشيخ سليمان بن عثمان بن محمد المَرداوي - فقيه دومة - (ت: ٩٥٠ هـ تقريباً)، والشيخ عبد القادر التغلبي - صاحب «نيل المآرب» - (ت: ١٠٥٧هـ)، والشيخ أحمد الدُّومي قاضي الحنابلة =

* ولادتُهُ ونشأتُهُ:

وُلِدَ ابنُ بَدْرانَ في بلدةِ دومةَ سنة (١٢٦٥هـ)، ونشأَ بها في أسرةٍ تقيَّةٍ صالحةٍ، فكانَ والدُه الشَّيخُ أحمدُ المُتَوَفَّى سنة (١٣١٧هـ) رجلاً صالحاً، وجدُّه الشَّيخُ مصطفى المتوفَّى سنة (١٣٢٢هـ) من أهلِ العلمِ والفضلِ، وانتسبَ في صغرِهِ إلى كُتَّابِ الشَّيخِ عدنانَ بنِ محمَّدٍ عَدَس في جامع المَسْيَدِ[1]، فتعلَّمَ لديه مبادئَ القراءةِ والكتابةِ.

= بدمشق (ت: ١١٠٧هـ)، والشيخ حمزة بن يوسف الدُّومي، أحد مدرسي الجامع الأموي (ت: ١١١٦هـ)، والشيخ مصطفى الدُّوماني، شيخ الحنابلة بالأزهر (ت: ١١٩٦هـ)، والشيخ محمد بن عثمان الخطيب ـ مفتي الحنابلة بالمدينة المنورة ـ (ت: ١٣٠٨هـ)، والشيخ عبد القادر بن بدران الدُّومي (ت: ١٣٤٦هـ)، والشيخ أحمد بن صالح الشامي مفتي دومة وفقيهها (ت: ١٤١٤هـ) ـ وغيرهم كثير، وقد فصَّلت الكلام عليهم في كتاب مستقل سميته: «أَعْلَامُ دُومَة»، يَسَّر الله إتمامه.

ـ **الدمشقيُّ**: نسبة إلى دمشق، موطن هجرة المترجَم ووفاته.

ـ **الحنبليُّ**: نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى، ـ وهو المذهب الفقهي للمترجَم.

ـ **الأثريُّ**: نسبة إلى الأثر، وهو الحديث، ينسب إليه كل من سلك مذهب المحدِّثين في الاعتقاد.

ـ **السَّلَفِي**: نسبة إلى السَّلَف الصَّالح، ينسب إليه كلُّ منِ اقتفى أثَرهم في العقيدة والسلوك.

وهاتان النسبتان (الأثريُّ السلفيُّ) ذكرهما المترجَم عن نفسه في غير موضع، من ذلك في كتابه «العقود الياقوتية» (ص: ٢٠٤).

(١) مسجد من مساجد دومة القديمة، بناه أحد الأشراف السادة، فأخذ لقبهم، ويقع الآن في وَسَط دومة، وكان به كُتّابٌ قديمٌ، تخرَّج فيه كثيرٌ من أولاد دومة في =

ثمَّ انتقلَ بعدَ ذلكَ لتلقِّي العلم على يدِ جَدِّهِ الشيخِ مصطفى بنِ عبدِ الرحيمِ بدرانَ، كما قرأ كتابَ «دليلِ الطَّالبِ» على بعض شيوخِ دومةَ.

ثمَّ اشتغلَ على يدِ العلاَّمةِ الفقيهِ المُفتي محمَّدِ بنِ عثمانَ بنِ عباسٍ الخطيبِ الدُّوميِّ الحنبليِّ المتوَفَّى سنة (١٣٠٨هـ)، فقرأ عليه كتابَ «مختصرِ الإفاداتِ» للعلاَّمة البَلْبانِيِّ الحنبليِّ، وتأثَّرَ بأسلوبِ شيخِه وطريقتِه، وأُعجِبَ بعلمِه وفضلِه، مما جعله يُكثِرُ من الثَّناءِ عليه في مَطاوي كتبه ومصنَّفاتِهِ.

ولمَّا وجدَ كفايتَهُ من شيخِه الخطيبِ، ارتحلَ إلى دمشقَ حالاً بدارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ، حيثُ كانَ يُقيمُ مُحدِّثُ الشَّامِ العلاَّمَةُ محمَّدُ بدرِ الدِّينِ الحَسَنِيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ، فاتَّصلَ ابنُ بدرانَ به، وأخذَ عنهُ، ومدحَهُ، وأثنى عليهِ.

وأخذَ عنِ العلاَّمةِ الفقيهِ الحَيْسوبِيِّ محمَّدِ بنِ مصطفى الطَّنطاويِّ الأزهريِّ (ت: ١٣٠٦هـ) عِلْمَ الهيئةِ والميقاتِ والحسابِ، إلى أنْ برعَ فيها، فألَّفَ وناظرَ وتصدَّى لتدرِيسها.

= الحقبة الماضية.

قلت: ثم أفادنا الشيخ العلامة محمد بن الأمين بوخبزة التطواني ـ حفظه الله تعالى ـ أن لفظ «المسيد» يطلقه المغاربة على «الكُتَّاب» الذي يتعلم فيه الأطفال القرآن الكريم، وفعلاً فقد كان هذا المسجد في أول أمره «كُتَّاباً» ثم تحول إلى مسجد، والله أعلم.

وأخذَ عن العلاَّمةِ الفقيهِ أحمدَ بنِ حَسَنٍ الشَّطِّيِّ الحنبليِّ (ت: ١٣٠٦هـ) الفقهَ والفَرائِضِ، وأشارَ عليهِ بوضع حاشيةٍ على «الرَّوضِ المربعِ»، فابتدأَ بها، ووصَلَ فيها إلى بابِ السَّلَمِ سنة (١٣٠٤هـ)، ثمَّ انصرفَ عنها.

كما تلقَّى على يدِ العلاَّمةِ المحدِّثِ سليمِ بنِ ياسينَ العَطَّارِ الدِّمشقيِّ ـ مُسْنِدِ الشَّامِ ـ (ت: ١٣٠٧هـ)، فقرأَ عليهِ الحديثَ، وأجازَهُ إجازةً عامَّةً.

واشتغلَ على جماعةٍ من شُيوخِ دمشقَ، كالشَّيخِ عَلاءِ الدِّينِ عابدينَ الدِّمشقيِّ الحَنَفِيِّ (ت: ١٣٠٦هـ)، والشَّيخِ محمَّدِ بنِ ياسينَ العطَّارِ الدِّمشقيِّ الشَّافعيِّ (ت:١٣٠٧هـ)، والشَّيخِ عمرَ بنِ طهَ بنِ أحمدَ العَطَّارِ الدِّمشقيِّ الشَّافعيِّ (ت:١٣٠٨هـ)، والشَّيخِ محمَّدِ بن محمَّدٍ الأَنْبابِيِّ المِصْرِيِّ (ت: ١٣١٣هـ).

وقدِ استمرَّ طلبُهُ للعلمِ في دمشقَ قُرابةَ سِتِّ سنواتٍ، حَصَّلَ خلالَها بجدِّهِ واجتهادِهِ ما لم يحصِّلْهُ غيرُه في السَّنواتِ الطِّوالِ، وكانَ ذلكَ من آثارِ المَنْهَجِيَّةِ العلميَّةِ الَّتي لَقَّنَهُ إيَّاها شيخُه العلاَّمةُ محمَّدُ بنُ عثمانَ الخطيبُ ـ رحمه الله تعالى ـ.

لكنَّهُ لم يقتصرْ على ما أخذ، وإنَّما أَكَبَّ بعدَ ذلكَ على المُطالعةِ بنفسِه، حتَّى برعَ في الكتاب والسُّنَّةِ، والأَصْلَيْنِ، والمذهبِ، ومعرفةِ الخِلافِ، وسائرِ العُلوم العقليَّةِ والأدبيَّةِ والرياضيَّةِ.

وعادَ إلى دومةَ، وبدأ يُلقي دروساً منتظمَةً في جامِعها الكبيرِ، يشرحُ فيها الفقهَ الحنبليَّ في كتابِ «شرحِ مُنْتهى الإرادات» للبهوتيِّ.

إلى أنْ حصلَتْ له فتنةٌ كبيرةٌ، ومِحْنَةٌ عظيمةٌ؛ حيثُ سَعَى به حُسّادُهُ ومناهِضوهُ إلى قرينهِ الشّاعرِ صالحِ بنِ أحمدَ طهَ الدُّومِيِّ (ت: ١٣٢٥هـ)، وكانَ آنذاكَ رئيسَ بلديَّةِ دومةَ، فاستصدَرَ أمراً بإبعادِ ابنِ بدرانَ عن دومةَ.

وتمَّ لشانِئيهِ ما يُريدونَ، فهاجرَ إلى دمشقَ، وعانى فيها من الغُربةِ والبُعدِ، والعُزلةِ والفقرِ، لكِنْ ممَّا خفَّفَ ذلكَ عنهُ ما لَقِيَهُ من الوجيهِ التَّاجرِ محمودٍ الباروديِّ من تَرحابٍ وحُسْنِ ضيافةٍ، نزلَ عندَه مدَّةَ سنتينِ ونصفٍ، قامَ خلالَها بمساعدةِ ابنهِ «فخري» في بعضِ العُلومِ والفنونِ.

ثمَّ استقرَّ بهِ الأمرُ في مدرسةِ عبدِ اللهِ باشا العَظْمِ، جنوبَ المسجدِ الأُمَوِيِّ، وسكنَ فيها بغرفةٍ عُلْويَّةٍ، كانَ فيها مُقامُهُ وطعامُهُ ومَنامهُ وتدريسُهُ، وبقي فيها قُرابةَ نصفِ قَرْنٍ.

* * *

المبحث الثاني
وظائفه وأعماله ورحلاته وصلاته

* وَظائِفُهُ وأَعْمالُهُ:

تنقَّلَ ابنُ بدرانَ بينَ عدَّةِ وظائفَ في حياتِهِ، وهي لا تَعْدُو مَجالَ العلمِ والتَّعليمِ، ومنها:

١ ـ التَّدريسُ:

تصدَّرَ ابنُ بدرانَ للتَّدريسِ منذُ إقامتِه في دومةَ، فأقرأَ الفقهَ في الجامعِ الكبيرِ، مُقَرِّراً كتابَ «شرحِ مُنْتَهى الإراداتِ» للبُهوتي، وفي أثناءِ ذلكَ وضع عليهِ حاشيةً مفيدةً.

وبعدَ انتقالِه إلى دمشقَ بمدَّةٍ، عُيِّنَ مُدَرِّساً تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ في الجامعِ الأُمويِّ، وكانَ يدرِّسُ الفقهَ والتفسيرَ والحديثَ، ويميلُ في دروسِه إلى الإصلاحِ والتجديدِ، وممَّا درَّسَهُ تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ كتابُ «عُمْدَةِ الأحكامِ» للحافظِ عبدِ الغنيِّ المقدسيِّ.

ودرَّسَ ـ أيضاً ـ في المدرسةِ السُّميساطِيَّةِ، إضافةً إلى الدُّروسِ

الخاصَّةِ لطلبةِ العلمِ، والَّتي كانَ يقومُ بها في مدرسةِ عبدِ اللهِ باشا العظم مقرِّ إقامتِهِ.

وكانَ ـ معَ ذلكَ ـ كثيرَ التنقُّلِ بينَ قُرى غوطةِ دمشقَ لتعليمِ العامَّةِ وإرشادِهم، وتلقينِ الطلَّبَةِ الَّذينَ لا يقدِرون على الرِّحلةِ.

٢ ـ عُضْوِيَّةُ شُعبةِ المعارفِ بدومةَ:

تشكَّلَتْ في دومةَ سنة (١٣٠٩هـ) شُعبةٌ للمعارفِ، مَهَمَّتُها نشرُ العلمِ والثَّقافةِ والتَّربيةِ، وشَحْذُ هِمَمِ النَّاسِ على تعليمِ أطفالِهم وإرسالِهم إلى الكَتاتيبِ والمدارسِ.

وكانَ ابنُ بدرانَ أحدَ أعضاءِ هذهِ الشُّعبةِ.

٣ ـ تَوَلِّي إفتاءِ الدِّيارِ الحجازيَّةِ بسوريَّةَ:

عَيَّنَ الملكُ عبدُ العزيزِ آلِ سُعودٍ ـ رحمه الله ـ ابنَ بدرانَ، مُفْتياً للدِّيارِ الحجازيَّةِ في سوريَّةَ، وذلكَ لشدَّةِ وُثوقِهِ بهِ واعتمادِهِ عليهِ.

وقدْ أشارَ الزِّرِكْلِيُّ في «الأَعلام» إلى أنَّ ابنَ بدرانَ تولَّى إفتاءَ الحنابلةِ، ولعلَّ مقصودَهُ تَوَلِّيهِ لهذا المنصبِ تبرُّعاً منه، وإقبالاً من النَّاسِ عليهِ، لا كوظيفةٍ رسميَّةٍ، إذْ أنَّ منصبَ إفتاءِ الحنابلة بدمشقَ كانَ بالتَّناوب بين آل السُّيوطي، وآل الشَّطِّيِّ منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وكانَ آخرَهم الشيخُ محمَّدُ جميلٍ الشَّطِّيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ.

٤ ـ التَّصحيحُ في المطابعِ وإدارةُ تحريرِ الجرائدِ:

عملَ ابنُ بدرانَ مُصَحِّحاً ومُحَرِّراً بمطبعةِ الولايةِ وجريدتِها في دمشقَ، كما شاركَ بتحريرِ جريدةِ «المُقْتَبَسِ» الدِّمشقيَّةِ.

وأنشأَ مجلَّةَ «مواردِ الحِكمةِ» سنةَ (١٣٩٢هـ).

وكتبَ في الصُّحفِ الدِّمشقيَّةِ؛ كـ «المِشكاةِ»، و«الشَّامِ»، و«الكائناتِ» و«الرَّأي العامِّ».

٥ ـ التَّنقيبُ عنْ آثارِ دمشقَ:

انصرفَ ابنُ بدرانَ مدَّةً من حياتِهِ للتَّنقيبِ عنْ آثارِ دمشقَ، وما بقيَ من أطلالِها، حتَّى كانَ يستعيرُ سُلَّماً خشبيّاً، وينقُلُهُ بيديهِ ليقرأَ كتابةً على جدارٍ، أو اسماً فوقَ بابٍ.

وكانَ السَّبَبُ في عملِه هذا، تكليفَ قاضي دمشقَ الشَّيخِ المُعَمَّرِ عبدِ المُحْسِنِ بنِ عبدِ القادرِ الأُسْطوانِيِّ (ت: ١٣٨٣هـ) لجنةً على رأسِها ابنُ بدرانَ، للطَّوافِ على مدارسِ دمشقَ، ووصفِ حالتِها، وما فيها من الطُّلاَّبِ، وما قدْ تحتاجُ إليهِ منْ إصلاحٍ وترميمٍ، فقامَتِ اللَّجنةُ بالعملِ المكلَّفَةِ بهِ، وقدَّمَتِ التَّقريرَ إلى القاضي في (١٨/ صفر/ ١٣٢٨هـ)، وقدْ نشرَ هذا التَّقريرَ الدُّكتورُ صلاحُ الدِّينِ المنجِّدِ في «مجلَّةِ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العربيِّ بدمشقَ» بعُنوان: «وثيقةٌ رسميَّةٌ عن مدارسِ دمشقَ القديمةِ».

ويظهرُ أنَّ ابنَ بدرانَ جمعَ ما عثرَ عليه خلالَ هذا التَّنقيبِ، فكانَ

ذلكَ نَواةَ كتابِه «مُنادَمَةُ الأَطْلالِ ومسامَرَةُ الخَيالِ في الآثارِ الدِّمشقيَّةِ والمدارس العلميَّةِ»، وقد أثارَ هذا الكتابُ مباحثَ مهمَّةً في تعدِّي كثيرٍ من النَّاسِ على أوقافِ المسلمينَ، وإهمالِ مسؤولي الأوقافِ الإسلاميَّة المُطالَبَةَ بحقوقِ المساجدِ والمدارسِ الوقفيَّةِ الإسلاميَّةِ، ولله الأمرُ.

* رَحَلاتُهُ:

أُولَى رَحَلاتِ ابنِ بدرانَ هيَ رحلتُه في طلبِ العلمِ إلى دمشقَ، واستقرارهُ بها مُدَّةً في دارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ.

ثمَّ اتَّصلَ ابنُ بدرانَ بالأميرِ عبدِ القادرِ الجزائريِّ، ورافقَهُ في رحلتِه إلى المغربِ وأوربَّا، وزارَ الجزائرَ، وتونِسَ، وإيطاليا، وفَرَنسا، ودامتْ رحلتُه ستَّةَ أشهُرٍ، صاغَ مذكِّراتِهِ فيها شِعْراً أودَعَهُ ديوانَه: «تَسْليةُ اللَّبيبِ».

وكانتْ رحلتُه الثَّانيةُ إلى دمشقَ مُهاجِراً إليها بعدَ مِحْنَتِهِ في دومةَ.

وفي خلالِ إقامتِه في دمشقَ زارَ لُبنانَ ضيفاً على الأميرِ السَّيِّدِ عبدِ الرَّحمنِ باشا اليوسُفِ صَدْرِ سوريَّةَ وأميرِ الحَجِّ.

ويُحتمل أنَّه رحلَ إلى مصرَ، فأخذَ فيها عن شيخِ الأزهرِ محمَّدٍ الأَنْبابيِّ (ت: ١٣١٣هـ)، أو أنَّه التقاهُ في دمشقَ، إذ أنَّ شيوخَ الأزهرِ كانوا يتردَّدونَ إلى دمشقَ.

لكنْ ممَّا يقوِّي أمرَ رحلتِه إلى مصرَ ذكرُه في كتابه «المدخل» أنَّهُ اطَّلَعَ على بعضِ كتبِ الحنابلةِ في خزانةِ الكتبِ الخديويَّةِ بمصرَ، واللهُ أعلمُ.

*** صِلاتُهُ:**

عُرِفَ ابنُ بدرانَ بحبِّ العُزلةِ والانفرادِ، وذلكَ بعدَ تَواصُلِ المِحَنِ عليهِ، وحَسَدِ كثيرٍ من مُعاصريهِ لهُ.

ومعَ هذِه العُزلةِ فقدْ كانتْ لهُ صِلاتٌ جيِّدةٌ بجماعةٍ من العلماءِ والأدباءِ، والحُكَّامِ والسِّياسِيِّينَ، ومنهم:

١ـ الأميرُ عبدُ القادرِ الجزائريُّ: الَّذي اصطحبُهُ معهُ في رحلتِه إلى المغربِ وأوربَّا.

٢ـ والوجيه محمودٌ الباروديُّ ـ أحدُ رجالِ السِّياسةِ والتِّجارةِ في سوريَّةَ ـ حيثُ نزلَ ابنُ بدرانَ في ضِيافتِهِ سنتينِ ونِصْفَ السَّنَةِ بعدَ هجرتِه إلى دمشقَ.

٣ـ والعَلاَّمةُ المُصلِحُ المُفَسِّرِ المُحَدِّثِ محمَّدُ جمالِ الدِّينِ القاسِمِيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ، والتقى الرَّجلانِ على العَقيدةِ السَّلَفِيَّةِ، والمنهجِ الإصلاحيِّ، وكانَ لهما أملٌ كبيرٌ، وسعيٌ عظيمٌ في تجديدِ النَّهضةِ الدِّينيَّةِ العلميَّةِ في بلادِ الشَّامِ.

٤ـ والعَلاَّمَةُ الرُّحَلَةُ الأستاذُ خليلُ بنُ بدرٍ الخالديُّ المقدسيُّ (ت: ١٣٦٠هـ) الَّذي كانَ أُعجوبةً في معرفةِ المخطوطاتِ وأماكنِ وجودِها.

وقدِ استضافَهما في مجلسٍ واحدٍ العَلاَّمةُ الشَّيخُ محمَّدُ بَهْجَةَ البيطارُ.

٥ـ وأميرُ الحَجِّ وصَدْرُ سوريَّةَ الأميرُ عبدُ الرحمنِ باشا

اليوسفُ (ت: ١٣٣٩هـ)، وتَوَّجَ ابنُ بدرانَ صِلتَهُ بهِ بأنْ أَلَّفَ كتاباً في سيرتِه سمَّاهُ: «الكَواكب الدُّرِّيَّة في تاريخِ عبدِ الرَّحمنِ باشا اليُوسُفِ صَدْرِ سوريَّةَ»، وطُبع في مطبعةِ الفيحاءِ بدمشقَ سنة (١٣٣٩هـ).

٦- والملكُ عبدُ العزيزِ آل سعودِ ـ رحمه الله ـ، وأهداهُ كتابَه: «نُزْهَة الخاطِرِ العاطِر شرح رَوْضَةِ النَّاظِر»، فأمرَ الملكُ عبدُ العزيزِ بطبعِ الكتابِ على نفقتِهِ.

وكانَ الملكُ عبدُ العزيزِ يرسلُ لابنِ بدرانَ جماعاتٍ من أهلِ نجدٍ، يستفيدونَ منه، وينهَلُونَ من علمِهِ.

ولذا كانَ ابنَ بدرانَ يذكرُ أنَّ سببَ تنشيطِ همَّتِهِ لعددٍ منْ تآليفِه هو زيارةُ بعضِ طلبةِ العلمِ من نجدٍ له، وسؤالُهم إيَّاه وضعَ بعضِ الحواشي والشُّروحِ على كتبِ الفقهِ خاصَّةً.

ومن ذلكَ: «حاشيةُ أَخْصرِ المُخْتَصراتِ»، و«البدرانيَّة شرحُ المنظومةِ الفارضيَّة»، و«حاشية روضةِ النَّاظر»ـ المارُّ ذكرُها ـ.

٧-ولعلَّ أبرزَ علماءِ نجدٍ ممَّنْ كانتْ لهُ صلةٌ بابنِ بدرانَ هو علاَّمةُ الكُويتِ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ خَلَفِ بنِ دحيانَ، فقد كانَ ابنُ بدرانَ يَوَدُّهُ ويُحِبُّهُ، وكانَتْ بينَهما مُراسلاتٌ علميَّةٌ، ومُذَاكراتٌ فقهيَّةٌ، حتَّى كانَ ابنُ بدرانَ يتألَّمُ أحياناً ـ كما ذكر عن نفسه في كتابه «العقود الياقوتية» ـ منِ انقطاعِ رسائلِ ابنِ دحيانَ، ـ رحمهما الله تعالى ـ.

* * *

المبحث الثالث
إجازاته

*** إجازاته:**

تقدَّمَ أنَّ ابنَ بدرانَ حصلَ على الإجازةِ العامَّةِ في الحديثِ وسائرِ العلومِ الشرعيَّةِ من محدِّثِ الشَّامِ الشَّيخِ سليمِ بنِ ياسينَ العَطَّارِ - رحمه الله تعالى -.

ويظهرُ أنَّه أخذَ إجازاتٍ من شيوخٍ عِدَّةٍ، يدلُّ على ذلكَ قولُه في «نزهةِ الخاطرِ العاطرِ» (١/ ٢٠٦): «... وقد صَنَّفَ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ ثابتٍ الخطيبُ البغداديُّ جزءاً في الإجازةِ للمَعْدومِ، وحكى حُجَجَهُ وأقوالَ النَّاسِ فيه، فالموجودُ أولى.

أقولُ - أي: ابنُ بدرانَ -: هذا إنمَّا هو باعتبارِ المحدِّثينَ، وأما في زمننا فإنَّهُ يكونُ المُجيزُ أشبهَ بالعامِّيِّ، وقد يُجيزُ بكتابٍ لا يعرفُ منهُ إلاَّ اسمَهُ، وقدْ حصلَتْ لنا إجازاتٌ بمسنَدِ الإمامِ أحمدَ، ومسنَدِ عبدِ الرَّزَّاقِ، وابنِ أبي شَيْبَةَ، وغيرهم من أناسٍ ما رأوا هذهِ الكتبَ، ولا اطَّلعوا عليها، فما فائدةُ هذه الإجازةِ؟! فَلْيَتَبَصَّرِ المُجَازُ، ولْيعلَمْ عمَّنْ يَستجيزُ».

ويشتكي ابنُ بدرانَ من طَلَبةِ العلمِ الَّذينَ وُلِعوا بالإكثارِ منَ الإجازاتِ، والتَّفاخرِ بعددِ الشُّيوخ، والاستجازةِ عمَّنْ دَبَّ ودَرَجَ، فيقولُ ـ أيضاً ـ في «النُّزْهَةِ» (١/ ٢٠٢): «.. قالَ الجُوَينيُّ: وشرطُ صحَّةِ هذه الطَّريقةِ ـ يعني: طريقةَ العرضِ على الشَّيخِ ـ أن يكونَ الشَّيخُ عالِماً بما يقرأُ عليهِ التِّلميذُ، ولو فُرِضَ منهُ تَصْحيفٌ أو تَحْريفٌ لَرَدَّهُ عليهِ، وإلاَّ لم تصحَّ الرِّوايةُ عنهُ، قالَ: وأيُّ فرقٍ بينَ شيخٍ يسمعُ أصواتاً وأجراساً، ولا يأمَنُ تدليساً وإلباساً، وبينَ شيخٍ لا يسمعُ ما تَقْرَأُ عليه؟.

قلتُ ـ أي: ابنُ بدرانَ ـ: وهذا هو الصَّوابُ، وبهذا تعلَمُ أنَّ أكثرَ الإجازاتِ في زمنِنا، لاثقةَ بها، فَلِمَ يتلَقَّى الطَّالبُ على شيخٍ كتابَ حديثٍ، والشَّيخُ لا علمَ لهُ بضبطِ ألفاظِه، ويجيزُ بكتابٍ لم يرَهُ ولمْ يسمعْ بهِ إلاَّ في بُطونِ الأثباتِ والتَّراجِمِ؟! فاللهُ يُلهِمُنا الرُّشد والصَّوابَ».

* * *

المبحث الرابع
عقيدته ومذهبه واختياراته الفقهية

*** عقيدتُهُ :**

كانَ ابنُ بدرانَ سَلَفِيَّ العقيدةِ، حكى ذلكَ عن نفسِه في مواضعَ كثيرةٍ من كتبِه، وقد صَرَّحَ في كتابِه «المدخل» (ص: ٤٢ـ٤٣) بأنَّهُ كانَ في بَدْءِ أمرِهِ لاهثاً وراءَ منهجِ المُتَكَلِّمينَ، فكانَ تارةً يُطَوِّحُ نفسَهُ فيما سلكَهُ ابنُ سينا في «الشِّفا»، و«الإشاراتِ»، وتارةً يَتَلَقَّفُ ما سبكَهُ الفارابيُّ من صناعةِ المَنْطِقِ وتلكَ العباراتِ، وتارةً يجولُ في مواقفِ «المقاصدِ» و«المواقفِ»، وأحياناً يطلبُ «الهدايةَ» لابن رُشْدٍ ظَنّاً منه أنَّها تَهْدي إلى رُشْدٍ. . فلا يَحْصُلُ من معرفةِ اللهِ ـ تعالى ـ إلاَّ على أوهامٍ وخَطراتٍ، ووَساوسَ وإشكالاتٍ، ويرتدُّ إليهِ الطَّرفُ خاسِئاً وهو حَسيرٌ، إلى أنْ ناداهُ مُنادي الهُدَى الحقيقيُّ أَنْ هَلُمَّ إلَى الشَّرفِ والكَمالِ، ودَعْ نجاةَ ابنِ سينا الموهومةَ إلى النَّجاةِ الحقيقيَّةِ، وما ذاكَ إلاَّ بأنْ يكونَ على ما كانَ عليهِ السَّلَفُ الكِرامُ منَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، والتَّابعينَ لهمْ بإحسانٍ، فهُنالكَ هَدَأَ رُوعُهُ، وجعلَ عقيدتَه كتابَ اللهِ، يَكِلُ علمَ صفاتِه لهُ بِلا تَجْسيمٍ ولا تأويلٍ، ولا تَشبيهٍ ولا تعطيلٍ.

هكذا كانَ ابنُ بدرانَ في عقيدتِه، ولِذا فإنَّهُ يُكْثِرُ من الثَّناءِ على أَئِمَّةِ السَّلَفِ الصَّالحِ، وينقلُ عنهمْ في كتبه؛ كالإمامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، والإمامِ ابنِ القَيِّمِ، وغيرهما ـ رحمَ اللهُ الجميع ـ.

* مَذْهَبُهُ :

نشأَ ابنُ بدرانَ في بيئةٍ حنبليَّةٍ، وأَوَّلُ ما ابتدأَ بهِ دراسةُ الفقهِ الحنبليِّ، كما حكى ذلكَ عن نفسِه، وقد مرَّ آنِفاً.

ولأجلِ ذلكَ تَوَجَّهَتْ عنايتُهُ لخدمةِ هذا المذهبِ، والذَّبِّ عنهُ، وتوضيحِ مقاصدِهِ، وزادَ من همَّتِهِ في ذلك اتِّصالُ أهلِ نَجْدٍ بهِ، وتشجيعُهم إيَّاهُ على وضعِ الحواشي والنُّكَتِ على الكتبِ المعتمَدَةِ، وكانَ من أشهرِ كتبه في خدمةِ المذهبِ كتابُه «المَدْخَل إلى مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَل» الَّذي لم يؤلَّفْ في موضوعِه قبلَه مِثْلُه، وقد تحدَّثَ فيه عن تاريخِ نشأةِ المذهبِ، وعنِ الأُصولِ الَّتي بُنِيَ عليها، وعنْ مصطَلَحاتِ المصنِّفينَ في المذهبِ؛ وأشهرِ الكتبِ المدوَّنَةِ فيه، ولذا كَثُرَ الانتفاعُ به، وتوجَّهَتِ العنايةُ إليهِ، فطُبِعَ عِدَّةَ طَبَعاتٍ، واستفادَ منهُ خَلْقٌ كثيرٌ منَ الحنابلةِ وغيرِهم، وكانَ أحدَ الكتبِ المقرَّرَةِ لَدَى مُتَفَقِّهَةِ الحنابلةِ في بلادِ الشَّامِ.

ووضعَ ابنُ بدرانَ حواشِيَ الحنابلةِ؛ كـ «أَخْصَرِ المُخْتَصَراتِ»، و«شَرْحِ مُنْتَهى الإرادات»، و«الرَّوْضِ المُرْبِعِ»، و«مُخْتَصَرِ الإفاداتِ».

وألَّفَ في تاريخِ المذهبِ ورجالِه «ذيلاً» على طَبقاتِ الحافظِ ابنِ رَجَبٍ.

وكتبَ في الفرائضِ كتابين هما: «كِفايةُ المُرْتَقي إلى معرفةِ فَرائضِ الخِرَقي»، و«البَدْرانيَّة شرحُ المنظومةِ الفارِضِيَّة».

وتولَّى الإجابةَ عنِ الأسئلةِ والفَتاوى المُوَجَّهَةِ إليه، فخرجَتْ تلكَ الإجابـاتُ فـي مـؤلَّفـاتٍ مستقلَّـةٍ؛ كـ «روضـةِ الأرواح»، و«دُرَّةِ الغَوَّاصِ»، و«العُقودِ الياقوتيَّةِ»، و«الفَريدَةِ اللُّؤْلُئِيَّةِ»، و«تَشْنيفِ الأسماعِ»، و«الأَجْوبَةِ عنِ الأسئلةِ البَيْروتِيَّةِ»، وغيرِها.

وقد أغربَ الأستاذُ محمَّدُ بنُ سعيدٍ العُمَانِيُّ الحَنْبَلِيُّ في ترجمتِهِ لابنِ بدرانَ؛ حيثُ ذكرَ أنَّهُ كانَ شافِعِيّاً فتحَوَّلَ، وهذا النَّقْلُ غريبٌ، إذْ أنَّ المُتَتَبِّعَ لسيرةِ ابنِ بدران ـ فيما حكاهُ عنْ نفسه ـ يرى أنَّهُ نشأَ نشأةً حنبليَّةً، ودرسَ في بدءِ أمرِه «دليلَ الطَّالبِ»، وتفقَّهَ على الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عثمانَ الخطيبِ مُفْتي الحنابلةِ، وقرأَ عليهِ: «مختصرَ الإفاداتِ»، وكُلُّ ذلكَ قبلَ رحلتِهِ إلى دمشقَ، فمِنْ أينَ جاءَهُ المذهبُ الشافعيُّ، ودومةَ لم تعرفْ مذهباً غيرَ المذهبِ الحنبليِّ؟!.

ومعَ ذلكَ فيُمكِنُ توجيهُ كلامِ العُمانيِّ من أحدِ وَجْهينِ:

الأَوَّلُ: أنَّ لابن بدرانَ تَحَوُّلَيْنِ: مرَّةً منَ المذهبِ الحنبليِّ إلى المذهبِ الشَّافعيِّ، والأُخْرَى منَ الشافعيِّ إلى الحنبليِّ! ـ وهذا بعيدٌ ـ.

الثاني: أنَّ مقصودَ ابنِ بدرانَ في كلامِه تَحَوُّلُهُ في الأُصولِ لا في

الفُروع، حكى ذلكَ عنْ نفسِه على طريقةِ المتقدِّمينَ الَّذينَ كانوا يعبِّرونَ عن الأشاعرةِ بالشافعيَّةِ، وعن أهل الحديثِ بالحنابلةِ، فظنَّ السامعُ لهُ، أو النَّاقِلُ عنهُ، أنَّ مقصودَهُ في ذلكَ في الفروعِ.

وهذا التوجيهُ ـ عندي ـ أرجحُ وأصحُّ.

ومن هنا تعلمُ خطأَ إدخالِه في «التحوُّلِ المذهبيِّ»، وكذا خَطَأَ مَنْ تابعَ الأستاذَ العُمانيَّ على ما ذكرَهُ في ترجمتِه لابنِ بدرانَ مِنْ تحوُّلِهِ. واللهُ أعلمُ.

*** اخْتياراتُهُ الفِقْهِيَّةُ:**

تقدَّمَ أنَّ ابنَ بدرانَ حنبليُّ المذهبِ، إلاَّ أَنَّه إذا اتَّضَحَ لهُ دليلٌ صحيحٌ صريحٌ خلافَ مذهبِه، لم يلتفتْ إلاَّ للدَّليلِ، ولذا فإنَّهُ وافقَ مذهبَهُ في أشياءَ، وخالفَهُ في أشياءَ أُخرى، وسوفَ أُلَمِّحُ هنا إلى بعضِ اختياراتِه الفقهيَّةِ، تاركاً اسْتِقْصاءَها إلى دراسةِ مُطَوَّلَةِ مُوعِبَةٍ.

فمِنِ اختياراتِه :

ـ أنَّ المعتبرَ في تطهيرِ المُتَنَجِّسِ زوالُ عينِ النَّجاسةِ دونَ اشتراطِ عددٍ معينٍ.

ـ وأنَّهُ يجوزُ المسحُ على الخُفِّ الممزَّقِ ما لمْ يظهرْ أكثرُهُ.

ـ وأنَّ لمسَ الأَمْرَدِ بشهوةٍ ناقضٌ للوضوءِ.

ـ وأنَّ خِتانَ الأُنثى مُسْتَحَبٌّ لا واجِبٌ.

ـ وأنَّهُ يجوزُ ضبطُ وقتِ الصَّلاةِ بالسَّاعةِ العصريَّةِ إذا تكرَّرَتْ إصابتُها.

ـ وأنَّهُ لا يجبُ على المرأةِ سترُ كَفَّيْها في الصَّلاةِ؛ لأنَّهما ليسا بِعورَةٍ.

ـ وأنَّ النيَّةَ المُعْتَبَرَةَ في الصَّلاةِ هي نيَّةُ القلبِ.

ـ وأنَّ لفظَ «السُّلطانِ» يَعُمُّ كُلَّ ذي سُلطةٍ، حتَّى شيخُ القريةِ، ورئيسُ البلديَّةِ!.

ـ وأنَّهُ لا يُكْرَهُ السَّفَرُ قبلَ الزَّوالِ من يومِ الجُمُعَةِ إذا خافَ فواتَ السَّفَرِ.

ـ وأنَّ صلاةَ الجُمعةِ تنعقدُ بحضورِ ثلاثةِ أشخاصٍ ممَّنْ تجبُ عليهم، وتحديدُ العددِ لم يصحَّ فيه دليلٌ.

ـ وأنَّ استعمالَ الدَّواءِ أفضلُ من تركِهِ.

ـ وأنَّ حكمَ زكاةِ العُمْلَةِ الوَرَقيَّةِ كحكمِ زكاةِ الدَّيْنِ.

ـ وأنَّهُ يجوزُ تركيبُ أسنانِ الذهبِ، وإنْ قامَ المَعْدِنُ والفِضَّةُ مَقامَها.

ـ وأنَّ صومَ رمضانَ يَثْبُتُ بالإخبارِ عنهُ بالتِّلِغْرافِ إذا كانَ المُخْبِرُ عَدْلاً.

ـ وأنَّهُ يجوزُ إخراجُ الكَفَّارَةِ عنِ الصَّومِ بعدَ الموتِ على نحوِ ما يفعلُه الحنفيَّةُ في إسقاطِ الصَّلاةِ وغيرِها كطوافٍ واعتكافٍ!!.

ـ وأنَّهُ يجوزُ بيعُ المُعاطاةِ في قليلِ المالِ وكثيرِه.

ـ وأنَّ المرجعَ في الكيلِ والوزنِ إلى العُرْفِ بالحجازِ.

وغيرُ ذلكَ كثيرٌ.

* * *

المبحث الخامس
شعره

*** شعره:**

كانَ ابنُ بدرانَ أديباً، شاعِراً، ناظماً، ناثِراً.

فقد تفوَّقَ في مجالِ الشِّعرِ، فتركَ لنا ديواناً كامِلاً أَوْدَعَهُ مقاطِعَ من شعرِهِ، سمَّاهُ: «تَسْلِيَة اللَّبيبِ عنْ ذِكْرى حَبيب».

كما تفوَّقَ في النَّثْرِ، فصاغَ كتبَهُ التاريخيَّةَ والفقهيَّةَ بأسلوبِ الأدباءِ لا بأسلوبِ الفُقهاءِ، فجاءَتْ كتبُه سهلَةً مُيَسَّرَةً، مُذَلَّلَةَ الصِّعابِ.

ولعلَّ القارِئَ لديباجةِ كتابهِ «المُنادَمَة» يتذَوَّقُ رِفْعَةَ أسلوبِ ابنِ بدرانَ، وتحليقَه في سماءِ البلاغةِ الأدبيَّةِ، وقدرتَهُ على صياغةِ ما يريدُ في أساليبَ متنوِّعَةٍ.

ولأجلِ ذلكَ ذكرَ جميعُ من ترجَمَ لابنِ بدرانَ أنَّهُ شاعرٌ وأديبٌ.

فقالَ الجُنْدِيُّ: «كانَ شاعِراً وأديباً وقُطْباً وعالِماً فَذّاً بَليغاً، جَمَعَ شعرَهُ في ديوانٍ.. وكانَ يهوَى المُطارحاتِ والمُساجَلاتِ الشعريَّةَ معَ الشُّعراءِ والأُدباءِ».

وقالَ الحصْنِيُّ: «سَبَقَ كثيراً من إخوانِه وأقرانِه في الأدبِ واللُّغةِ».

وقال الزِّرِكْليُّ: «. . . عارفٌ بالأدبِ والتَّاريخِ، له شِعْرٌ».

وقد شَمِلَ شعرُ ابنِ بدرانَ فُنونَ الشِّعرِ كُلَّها؛ كالمديحِ والغَزَلِ والوَصْفِ والرِّثاءِ والهِجاءِ والحِكْمَةِ والمُراسلاتِ، وغيرِها.

كما نَرى فيه جمالَ صنعةِ الشِّعرِ من تَوْرِيَةٍ وجِناسٍ وطِباقٍ وتَشْطيرٍ وتَخْميسٍ وتَطْريزٍ ومُوَشَّحاتٍ وتَضْمينٍ وإجازاتٍ، وغيرِ ذلكَ.

وسيرى المطالِعُ لديوانِهِ هذا جملةً وافرةً من النَّماذجِ المشرِقَةِ لما تقدَّمَ.

* * *

المبحث السادس
مكتبته

* مكتبته:

امتلكَ ابنُ بدرانَ مكتبةً علميَّةً جَيِّدَةً، تضمُّ نفائسَ المخطوطاتِ، وخاصَّةً في المذهبِ الحنبليِّ، وَرِثَ بعضَها عن جَدِّهِ لأُمِّهِ الشَّيخِ الفقيهِ أحمدَ بنِ مصطفى بنِ حسينٍ النَّعْسان (ت: ١٢٨١هـ)، وبعضُها الآخَرُ تَمَلَّكَهُ لنفسِهِ، أو وُهِبَ لهُ.

ثمَّ إنَّه لمَّا حَصَلَتْ لهُ تلكَ الفتنةُ المُظْلِمَةُ في بلدِه، وهاجَ عليهِ جَهَلَةُ الخَلْقِ، واستَعْدَوْا على مكتبتِهِ، فأحرقوا ما وجدوهُ فيها ـ كما حدَّثني بذلكَ بعضُ كبارِ السِّنِّ في دومةَ ـ، ولذلكِ حُقَّ لهُ أنْ يَصِمَهُم بالحُمُر المستنفِرَةِ، ويَصُبَّ جامَ غضبِهِ عليهمْ في ديباجةِ كتابهِ «المُنادَمَةِ».

وما بقي معَه من مكتبتِه احتملَه إلى دمشقَ، وأَوْدَعَهُ غُرْفَتَهُ إلى آخرِ حياتِهِ، ثمَّ إنَّ مكتبتَهُ بعدَ وفاتِه قدْ صارتْ لعدَّةِ أشخاصٍ منهم:

١ـ الشَّيْخُ عبدُ الغَنِيِّ بنُ إبراهيمَ الدُّرَّة الدُّوميُّ، وكانَ شابّاً مُحِبّاً للعلمِ، عاشِقاً للكتبِ، حتَّى اجتمعَتْ لديهِ مكتبةٌ غنيَّةٌ بالنَّفائس،

اشتراها من عددٍ منَ الأُسرِ الَّتي ورثتِ الكتبَ ولمْ تعرفْ قدرَها، ثمَّ إنَّه تُوُفِّيَ وهو شابٌّ، فقامَ وَرَثَتُهُ ببيعِ مكتبتِه، وكانَ بعضُها منْ نصيبِ الأستاذِ شامِلِ الشاهين، منها خمسةٌ من مُؤَلَّفاتِ ابنِ بدرانَ بخطِّهِ، وقدْ نُشِرَ تقريرٌ وَصْفِيٌّ لهذِهِ المخطوطاتِ في «مجلَّةِ معهدِ المخطوطاتِ العربيَّةِ» الصادرةِ في الكويتِ (مج٣٢/ ج٢/ ص: ٢١٣ـ٢٣٩).

٢ـ ومنهمُ الأستاذُ محمَّدُ بنُ سعيدٍ العُمَانيُّ الحنبليُّ، حيثُ قالَ في ترجمةِ ابنِ بدرانَ بعدَ ذكرِ كتبِهِ: «هذا سوى ما لديَّ منَ الرَّسائلِ والفَتاوى منْ أصنافِ العلومِ، مِمَّا لو جُمِعَ لَبَلَغَ مُجَلَّداتٍ، وما كانَ يقعُ في كُرَّاسٍ أو كُرَّاسَيْنِ أضرَبْنا عنهُ خوفَ الإطالةِ».

قلتُ: وليتَهُ لمْ يَخَفْ منْ هذهِ الإطالَةِ، فلقدْ حَرَمَنا هذا الخوفُ كثيراً منَ النَّفائِس.

٣ ـ وصارَ جُزْءٌ آخَرُ بحَوْزَةِ الأستاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّد زُهَيْر الشَّاويش، في مكتبتِهِ في بيروتَ.

أقولُ: ولا زِلْتُ أسمعُ بوجودِ كتبٍ أُخرى من مكتبةِ ابنِ بدرانَ لَدَى بعضِ الأُسرِ في دومةَ، ولكنْ لمْ أستطعِ الوصولَ إلى شيءٍ ملموسٍ في الواقعِ، فاللهُ يُيسره بفضلِهِ وَمَنِّهِ.

* * *

المبحث السّابع
مؤلّفاته

*** مؤلفاته:**

تركَ العَلاَّمَةُ ابنُ بدرانَ مُؤَلَّفاتٍ كثيرةً، في موضوعاتٍ شَتَّى، دلَّتْ على جَلالَةِ قدرِهِ، وجَميلِ فضلِهِ، وسَعَةِ اطِّلاعِهِ، وتنوُّعِ علومِهِ ومَعارِفِهِ.

ولأجلِ هذهِ المُؤَلَّفاتِ الجَليلَةِ ذاعَ صِيتُهُ، وانتشرَ في الآفاقِ اسمُهُ، وأصبحَ عَلَماً من أعلامِ التَّجديدِ والإصلاحِ في القَرْنِ المنصرمِ.

ولو لَمْ يُوَفَّقْ لصنعِ هذِهِ المُؤَلَّفاتِ، لَما عَرَفَهُ أَحَدٌ، ولا تَوَجَّهَ إليهِ اهتمامٌ، ولا خُلِّدَ ذكرُهُ في سجلِّ التَّاريخِ.

وقدْ بلغَتْ مؤلَّفاتُه قُرابةَ الخمسينَ، أُورِدُها هنا مَرَتَّبَةً حسبَ موضوعِها، وقد رمزتُ للكتابِ المطبوعِ بـ: (ط)، وللمخطوطِ بـ: (خ)، وللمفقودِ أو ما في حكمِه بـ: (؟) ـ واللهُ الموفِّقُ ـ.

ـ مؤلَّفاتُهُ في القرآنِ وعلومِهِ:

١ـ «جَواهرُ الأفكارِ ومعادِنُ الأَسْرارِ في تفسيرِ كلامِ العزيزِ الجَبَّار» (ط).

٢ -«الكَشْفُ عن حالِ قصَّةِ هاروتَ وماروتَ» (خ).

- مؤلَّفاتهُ في الحديثِ وعلومِهِ:

١-«شرحُ الأربعينَ حديثاً المُنْذِرِيَّةِ» (خ).

٢-«شرحُ ثُلاثِيَّاتِ مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ» (؟).

٣-«شرحُ حَديثِ أُمِّ هانِيٍ في صلاةِ الضُّحَى» (خ).

٤-«شرحُ سُنَنِ النَّسائِيِّ» (خ).

٥-«شرحُ شِهابِ الأخبارِ للقُضَاعِيِّ» (ط).

٦-«مقدِّمَةٌ في علومِ الحديثِ» (ط).

٧-«مواردُ الأَفهامِ من سَلْسَبيلِ عُمْدَةِ الأحكامِ» (خ).

- مُؤَلَّفاتُهُ في الفقهِ وأُصولِهِ:

١-«تَشنيفُ الأَسماعِ في بيانِ تَحريرِ المُدِّ والصَّاعِ» (خ).

٢-«تَعليقٌ على مختَصَرِ الإفاداتِ، لِلْبَلْبانِيِّ» (خ).

٣-«حاشيةٌ على أَخْصَرِ المُخْتَصراتِ، للبلبانيِّ» (ط).

٤-«حاشيةٌ على رسالةِ ذَمِّ المُوَسْوِسينَ، لابنِ قُدامةَ» (؟).

٥-«حاشيةٌ على مُنْتَهى الإراداتِ، للبُهوتِيِّ» (خ).

٦-«حاشيةٌ على الرَّوْضِ المُرْبِعِ شَرْحِ المُستقْنِعِ، للبُهوتِيِّ» (خ).

٧-«نُزهةُ الخاطِرِ العاطِرِ شرح رَوْضَةِ النَّاظِرِ، لابنِ قُدامةَ» (ط).

٨ -«المَدْخَلُ إلى مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ» (ط).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في الفَرائِضِ:

١ـ «البَدْرانيَّةُ شَرْحُ المَنْظُومَةِ الفارِضيَّةِ» (ط).

٢ـ «كِفايةُ المُرْتَقي إلى معرفةِ فرائضِ الخِرَقي» (ط).

ـ الفتَاوى:

١ـ «الأَجوبةُ عنِ الأسئلةِ البيروتيَّةِ» (ط).

٢ـ «دُرَّةُ الغَوَّاص في حُكْمِ الزَّكاةِ بالرَّصاص» (ط).

٣ـ «رَوْضَةُ الأَرْواح» (ط).

٤ـ «العُقودُ الياقوتيَّة في جَيِّدِ الأسئلةِ الكُويتيَّة» (ط)

٥ـ «الفَريدَةُ اللُّؤْلُئِيَّة في العُقودِ الياقوتيَّة» (ط).

٦ـ «العقودُ الدُّرِّيَّة في الأجوبةِ القازانيَّة» (ط).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في العقيدةِ:

١ـ «تَعْليقٌ على لُمْعَةِ الاعتِقاد الهادي إلى سبيلِ الرَّشاد، لابنِ قدامة» (ط).

٢ـ «رسالةٌ تَهَكُّمِيَّة على الصُّوفيَّة» (خ).

٣ـ «شرحُ نونيَّةِ ابنِ القَيِّم» (؟).

٤ـ «الصَّحيحُ من حديثِ المِعْراج» (خ).

ـ مؤلَّفاتُه في التَّاريخِ والتَّراجمِ:

١ـ «تاريخُ دومةَ منذُ فجرِ الدَّولةِ العباسيَّة حتَّى القرنِ الرَّابعَ عَشَرَ الهجريِّ» (؟).

٢ـ «تهذيبُ تاريخِ الأميرِ عبدِ القادرِ الجزائريِّ» (؟).

٣ـ «تهذيبُ تاريخِ دمشقَ، لابنِ عساكرَ» (ط).

٤ـ «ذَيْلٌ على طبقاتِ الحنابلةِ، لابنِ رجبٍ» (؟).

٥ـ «الرِّحْلَةُ المغربيَّةُ» (؟).

٦ـ «الرَّوضُ البَسَّامُ في تراجمِ المُفْتينَ بدمشقَ الشَّام» (؟).

٧ـ «الكواكبُ الدُّرِّيَّة في تاريخِ عبدِ الرحمنِ اليوسفِ صدرِ سوريَّة» (ط).

٨ ـ «مُنادَمَةُ الأَطْلال ومُسامَرَةُ الخَيال» (ط).

٩ـ «مُنْتَخَبُ النَّفائِس في تهذيبِ الدَّارِس» (خ).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في اللُّغةِ والأدبِ:

١ـ «آدابُ المُطالَعَة» (؟).

٢ـ «إيضاحُ المعَالِم من شرحِ العَلاَّمَةِ ابنِ النَّاظِم» (خ).

٣ـ «ديوانُ تسليةِ اللَّبيب عنْ ذِكْرى حَبيب» (ط).

٤ـ «رسالةٌ في علمِ البَديع» (خ).

٥ـ «المَنْهَلُ الصَّافي في شَرْحِ الكافي في العروضِ والقَوافي» (خ).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في الوَعْظِ والخَطابَةِ:

١ـ «ديوانُ الخُطَبِ المِنْبَرِيَّةِ» (؟).

٢ـ «سبيلُ الرَّشاد إلى حقيقةِ الوَعْظِ والإرشاد» (؟).

ـ مؤلَّفاتُه في عِلْمِ الفَلَكِ:

١ـ «رسالةٌ في الرُّبْعِ المُجَيَّب» (؟).

٢ـ «رسالةٌ في الرُّبْعِ المُقَنْطَر» (؟).

* * *

المبحث الثامن
ثناء العلماء عليه

*** ثناء العلماء عليه:**

أثنى على العلاَّمةِ ابنِ بدرانَ كلُّ مَنْ عرفَهُ وأنصفَهُ، وقَدَرَهُ حقَّ قَدْرِهِ.

ومن هؤُلاءِ:

ـ العلاَّمةُ الشَّيخُ عبدُ الرزَّاقِ بنُ حسنٍ البيطارُ؛ حيثُ قالَ عنه في تقريظِه لكتابِ «المَنْهَلِ الصافي»: «. . الأديبُ الكامِلُ، والأريبُ العالِمُ العامِلُ».

ـ والمُؤَرِّخُ تقيُّ الدِّينِ الحصنيُّ فقالَ: «. . وهوَ مُتَضَلِّعٌ من العلومِ العصريَّةِ، والفُنونِ الكثيرةِ، اشتُهرَ في الشِّعْرِ والتَّاريخِ. . . كانَ سَلَفِيَّ العَقيدةِ، يُحِبُ التَّقَشُّفَ، ويميلُ طبعُهُ إلى الانفرادِ عنِ النَّاسِ والبُعْدِ عنِ الأمراءِ. . . ولهُ اختِصاصٌ في علمِ الآثارِ والكتبِ القديمةِ، ومعرفةِ أسماءِ الرِّجالِ ومؤلَّفاتِهم من صدرِ الإسلامِ إلى اليومِ».

ـ والعَلاَّمَةُ مُحِبُّ الدِّينِ الخطيبُ في ترجمتهِ لهُ بمجلَّةِ «الفتحِ» حيثُ قالَ: «وهوَ من أفاضلِ العلماءِ، تلقَّى العلمَ عنِ المشايخِ مدَّةَ

خمسِ سنواتٍ، ثمَّ انصرفَ إلى تعليمِ نفسِهِ بنفسِهِ، فكانَ من أهلِ الصَّبْرِ على التَّوَسُّعِ في اكتسابِ المعارفِ من العلومِ الشرعيَّةِ والأدبيَّةِ والعقليَّةِ والرِّياضيَّةِ».

ـ والأستاذُ أدهمُ الجنديُّ، فقالَ: «وبرعَ في سائرِ العلومِ العقليَّةِ والأدبيَّةِ والرِّياضيَّةِ، وتَبَحَّرَ في الفقهِ والنَّحْوِ، فكانَ ـ رحمه اللهُ ـ علماً منَ الأعلامِ».

وقالَ ـ أيضاً ـ: «كانَ شَيْخاً جَليلاً، زاهداً في حُطَامِ الدُّنْيا، مُتَقَشِّفاً في مَلْبَسِهِ ومَسْكَنِه ومَعِيشَتِهِ، وكانَ ـ رحمه اللهُ ـ ذا قَرْعَةٍ طويلةٍ امتدَّتْ إلى أسفلِ رقبتِهِ، أعْمَشَ العينين».

ـ والأستاذُ خيرُ الدِّينِ الزِّرِكْلِيُّ، فقالَ: «فقيهٌ، أُصوليٌّ، حنبليٌّ، عارفٌ بالأدبِ والتَّاريخِ، له شِعْرٌ. كانَ حَسَنَ المُحاضرةِ، كارهاً للمَظاهِرِ، قانعاً بالكَفافِ، لا يُعْنَى بِملبسٍ أو بمأكلٍ، يصبغُ لحيتَهُ بالحِنَّاءِ، وربَّما ظهرَ أثرُ الصَّبْغِ على أطرافِ عِمامتِهِ، ضَعُفَ بصرُه قبلَ الكُهولة، وفُلِجَ في أعوامِهِ الأخيرةِ».

هذا غَيْضٌ من فَيْضٍ لما قالهُ العُلماءُ في مدحِ ابنِ بدرانَ، ولا أعرفُ أحداً تكلَّم بذمِّه، أو تَنَقَّص من علمِه، سوى ما كتبهُ الشَّيخُ الفقيهُ محمَّدُ جَميل الشَّطِّيُّ ـ سامحَه الله ـ عندمَا أشارَ إلى ابنِ بدرانَ في خاتمةِ كتابِه «أَعيان دمشق»، فقالَ: «عالِمٌ مُتَطَرِّفٌ!».

ولا غرابةَ فيما قالَهُ الشَّطِّيُّ؛ لأنَّ بعضَ آلِ الشَّطِّيِّ وقفوا منِ ابنِ

بدرانَ موقفَ الخصمِ؛ لِما كانَ يدعو إليهِ منَ الإصلاحِ والتَّجديدِ، ونَبْذِ البِدَعِ والخُرافاتِ، وقد ذهبَ الجميعُ لرحمةِ اللهِ وعفوِه، فنسألُ اللهَ ـ تعالى ـ ألاَّ يجعلَ في قلوبِنا غِلاًّ للَّذينَ آمنوا.

* * *

المبحث التاسع
وفاته

*** وفاته:**

أصيبَ العَلاَّمَةُ ابنُ بدرانَ في أواخِرِ حَياتِه بِداءِ الفالج، وذلكَ في ليلةِ النِّصْفِ من شَوَّالٍ سنة (١٣٤٢هـ)، ونُقِلَ في اليومِ التَّالي إلى المستشفى العامِّ بدمشقَ، وانقطعَ النَّاسُ عنهُ، وكانَ العامِلون في المستشفى ـ وهُمْ منَ النَّصارى ـ يعرفون قَدْرَهُ، ويُلاطفونَه أحسنَ مُلاطفةٍ.

وكانَ في أَثْناءِ إقامتِه في المستشفى يُسَلّي نفسَه بنَظْمِ الشِّعرِ، يُرَوِّضُ بذلكَ يدَهُ اليُسْرى على الكتابةِ، حتَّى اجتمعَ من شعرِهِ هذا الديوان الذي سَمَّاه: «تَسْلِيَةَ اللَّبيب عَنْ ذِكْرى حبيب».

وقدْ مكثَ في المستشفى نَحْوَ سِتَّةِ أَشْهُر، ثمَّ خرجَ منها إلى غرفتِه في مدرسةِ عبدِ الله باشا العَظْم، وأَكبَّ على المُطالعةِ حتَّى أُصيبَ بضعفٍ في بصرِه، وبقيَ كذلكَ مدَّةَ ثلاثِ سنواتٍ، حتَّى وافاهُ أجلُهُ في مدينةِ دمشقَ يومَ الأحدِ التاسِع والعِشرينَ من شهرِ ربيعٍ الأَوَّلِ سنة

(١٣٤٦هـ)، الموافق للخامسِ والعشرينَ من شهرِ أَيلول سنةَ (١٩٢٧م)، وذلكَ في مستشفى الغُرباءِ بدمشقَ، ودُفن في مقبرةِ البابِ الصَّغير ـ رحمَهُ اللهُ وغفرَ له ـ.

* * *

الفصل الرابع

في وصف النسخ الخطية

وبيان منهج التحقيق



المبحث الأوّل
وصف النسخة الخطيّة

وقفتُ ـ بفضل الله تعالى ـ على النسخة الخطية الفريدةِ للكتاب، التي هي بخط مؤلفها ـ رحمه الله تعالى ـ.

وذلك في الخزانة التيمورية برقم (٥٣١/ حديث)، ويقع في مجلد واحد، كتب سنة (١٣٢٥هـ)، وقد جعل المؤلف المتنَ بأعلى الصفحات، والشرحَ بأسفلها[١].

* * *

---

(١) انظر: «فهرس الخزانة التيمورية» (٢/ ٢٩٩).

المبحث الثاني
في بيان منهج التحقيق

لقد تم العمل ـ بفضل الله تعالى وتوفيقه ـ في هذا السفر الجليل على النحو الآتي:

١ـ نسخُ المخطوط، ثم معارضةُ المنسوخ على الأصل المخطوط، وإصلاحُ ما وقع في الأصل من تحريف أو تصحيف، أو خلل في العبارة.

٢ـ ترقيمُ أحاديث الكتاب ترقيماً متسلسلاً على حسب الورود.

٣ـ ضبطُ متنِ الحديث وشرحِه بالشكل الكامل؛ تسهيلاً على القارئ؛ ليقف على المعنى المقصود بسهولة ويسر.

٤ـ تسويدُ مُتون الأحاديث، وجعلُها في سطر مستقل.

٥ـ إدراجُ شرحِ الحديث عقبَه مباشرةً بسطرٍ مستقل، وزيادةُ كلمةِ: (الشرح) بأوله؛ رغبةً في إخراج النص على وجهٍ لائق بما يحمله.

٦ـ عَزْوُ الآياتِ الكريمة الواردة في الشرح، في صُلْب الكتاب بين معكوفين.

٧ـ تخريجُ الأحاديثِ النبويةِ الواردةِ في الشرح، على الشكل الآتي:

أـ ذكرُ روايةِ القضاعيِّ للحديث في «مسنده»، وسردُ أرقامِ الأحاديثِ الأُخرى الواردةِ في «مسنده» عن صحابة آخرين إن وجدوا.

ب ـ العزوُ إلى المُخَرِّجين الذين ذكرَهم الشارحُ في الكتاب.

ج ـ الزيادةُ على عزوِ الشارح إن كان ثمةَ ضرورةٌ داعيةٌ إلى ذلك، مثل العَزْوِ إلى مَنْ هو أولى بالعزو ممَّن ذكره الشارح.

د ـ الاعتماد في تصحيح الأحاديث وتضعيفها على تخريجات محدِّثِ بلادِ الشام العلامةِ الشيخِ محمد ناصر الدينِ الألبانيِّ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتبه؛ مثل: «سلسلة الأحاديث الصحيحية والضعيفة»، «صحيح الجامع الصغير وضعيفه»، و«إرواء الغليل»، وغيرها.

٨ـ توثيقُ ما يذكره الشارح من نُقول عن علماء، أو شعر، أو أحاديث أخرى في أثناء شرحه، وذلك ضمن رقم واحد، هو رقمُ تخريج الحديث، كيلا تُثْقَلَ الحواشي بالأرقام الكثيرة؛ مما قد يُفقد التخريجَ الفائدةَ المرجوَّ إيصالُها إلى مُطالِعها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

* * *




صور المخطوطات



ترجمة القاضي القضاعي صاحب الشهاب

قال الحافظ ابو القاسم علي بن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمته هو محمد بن سلامة
ابن جعفر بن علي بن حكمون بن ابراهيم بن محمد بن مسلم ابو عبد الله القضاعي الفقيه
الشافعي قاضي مصر الذي الف كتاب الشهاب قدم دمشق وسمع بها من
ابي الحسن ابن السمسار وابي القاسم ابن الطبيز وروى عن ابي مسلم الكاتب
وعدة جماعة ممن روى عنهم ورووا عنه حسب اصطلاح المحدثين وممن روى عنه
ابو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين ثم قال ابن عساكر قرات على ابي
مسلم السلمي عن ابي نصر بن ماكولا قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي
المصري كان فقيها على مذهب الشافعي متفننا في عدة علوم وصنف ... ...
ومصر من يجري مجراه وقال ابو الفرج ان القضاعي كان يخلف الحكم بمصر وله
تصانيف منها تاريخ مختصر نحو خمس كراريس من ابتداء الخليقة الى زمانه سماه كتاب
الانباء عن الانبياء وتواريخ الخلفاء وكتاب الشهاب وكتاب جمع فيه اخبار
الشافعي ومناقبه وقال ابو بكر يحيى بن سعدون القرطبي ان القاضي القضاعي
شهرته تغني عن الاطناب في ذكره والاسهاب في امره وقد خرج معجم شيوخه
الذين رآهم سفرا وحضرا وله تصانيف مفيدة منها الشهاب الذي طبق الارض
وصار في الشهرة كاسمه من كلام المصطفى سيد الاولين والاخرين ومنها
كتاب دستور الحكم ومأثور معالي الكلم من كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وعن الصحابة اجمعين كتب عنه الحفاظ بمصر ومكة وغيرهما كابي بكر الخطيب
وابي نصر بن ماكولا البغداديين ونظرائهما وكان من الثقات الاثبات
كثير السماعات شافعي المذهب والاعتقاد مرضي الجملة عند الانتقاد كتبت عنه
بخطي وسمع معنا على شيوخنا مع علو مرتبته ومنزلته وقال ابو شجاع
فارس بن الحسين الذهلي في كتاب الشهاب

ان الشهاب شهاب يستضاء به في العلم والحكم والاداب والحكم
يبقى القضاعي غيث كلما لمعت هذي المصابيح في الاوراق والظلم

توفي سنة اربع وخمسين واربعمائة ووهم من قال سنة اثنتين وخمسين انتهى
كلام الحافظ ابن عساكر وترجمه ابن خلكان فقال بعد ان ذكر بعضا من كلام ابن
عساكر تولى القضاء بمصر نيابة من جهة المصريين وتوجه منهم رسولا الى جهة

الروم

صورة غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من
قبل لفي ضلال مبين قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم
بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يومنون به ومن يكفر به فاولئك هم
الخاسرون يوت الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وما يذكر الا اولوا الالباب والصلوة والسلام على نبيه ورسوله
محمد الذي ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فبلغ شرعه معلنا
وصدع بما امره به واجب الوجود فلم يخص بالعلم احدا دون احد فقوله
قول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فالتفاوت
بين الآخذين عنه انما هو في الفهم وحسن المدارك والهدى كل الهدى في قوله
تعالى لنبيه واتبع ما يوحى اليك من ربك انه كان بما تعملون خبيرا ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين تركوا الاهل والخلان في محبته فخرجوا من ظلمة الجهالة وسلوك البدع
الى شمس الهداية السليمة من الغروب وضل من قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ينادي بهم العزيز الجبار مبكتا ويحهم
مستهزئا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الف الله بين شتيت
احبابه بعد العداوة فتعاونوا على البر والتقوى حتى اشرق مطلع الشمس
ومغزلها بالايمان وتمكن في قلوب اولي الالباب بالحجة الواضحة والبرهان
ولم يكن السيف الا لمدافعة الاعداء ولكبح جماح الالداء وفتح الله قلوبهم لفهم
الشريعة الغراء واسرارها فوعتها صدورهم ونقلوها الى من بعدهم سالمة من التغيير
والتبديل فهم نجوم الهدى واهل الصفا والوفا رضي الله عن كل فرد فرد
منهم وخص نبيه بافضل الصلاة والتسليم وبعد فيقول المفتقر
لرحمة الكريم ونور الفتح الرباني من الرحمن عبد القادر بن احمد الشهير كاسلافه
بابن بدران اطلعه الله على اسرار شريعة نبيه المختار وملأ قلبه
بالحكمة الخالصة عن الاكدار لما كانت الحكمة هي النور الفائض على الاكوان

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

من بعد تفرده بكرا وعلى القسم الأول ينزل كلام الترمذي ثم الحسن وإن كان دون الصحيح
كالصحيح في جواز الاحتجاج به والضعيف ما لم يوجد فيه شروط الصحة ولا شروط الحسن والمرفوع
ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لا يقع مطلقه على سواه سواء كان متصلا أو منقطعا والموقوف
ما أضيف إلى الصحابي قولا له أو فعلا أو نحوه متصلا كان أو منقطعا ويستعمل في غيره مقيدا فيقال
حديث كذا وقفه فلان على مجاهد مثلا والمقطوع هو الموقوف على التابعي قولا له أو فعلا متصلا
كان أو منقطعا والمنقطع ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان فإن كان الساقط رجلين فأكثر
سمي أيضا معضلا بفتح الضاد المعجمة والمرسل ما انقطع إسناده على أي وجه كان انقطاعه فهو بمعنى
المنقطع عند الفقهاء وأصحاب الأصول وجماعة من المحدثين منهم الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي
وقال جماعات من المحدثين لا يسمى مرسلا إلا ما أخبر فيه التابعي عن رسول الله صلى الله عليه [وسلم]
هذا ما يحتاج إليه في هذا الشرح وما سواه له كتب كثيرة أكثرها مطبوع فليراجعها من أرادها
فلا نطيل بها انتهى الإملاء بقلم الفقير إلى ربه المنان عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الشهير
بابن بدران غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين في أوائل شهر ذي القعدة الحرام سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية

صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط